13 me Année No. 622

Lundi - 4 - 6 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٢٢ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٤ يونيو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

دار الترجمة أيضاً

عفواً يا معالى الوزير!

هذا الطريق لا يؤدى

فى عدد مضى من الرسالة اقترحنا على صاحب المعالى وزير المعارف أن تُنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة يُختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ينقلون المعارف الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة والإجتماع إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية؛ فإذا فرغوا من ترجمة الموجود فرغوا لترجمة المستجد، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع. وكان هذا الاقتراح مبين الأسباب، مفصل النتائج، موضح الآثار، يقرأه القارئ فيحسبه لطول ما تردد فى نفسه، وتجدد فى أمانيه، صادراً عن رأيه أو منقولا عن شعوره. لذلك دوّى صداه فى الأقطار العربية فتجاوبته ألسن مبينة، وتناولته أقلام بليغة؛ ولوذهبنا نذكر كل ما قيل، وننشر كل ما كُتب، لما اتسعت الرسالة لموضوع غير هذا الموضوع.

على أننا ننشر اليوم قولين رسميين دارا على هذا الاقتراح فى مجلس الشيوخ، أحدهما سؤال لشيخ محترم أجمل فيه رأى الأمة، والآخر جواب عنه لوزير المعارف لخص فيه رأى الحكومة، ثم نعقب عليهما بما نعتقد أنه الحق والأحق

صاغ الأستاذ أحمد رمزى بك أحد أعضاء مجلس الشيوخ من هذا الاقتراح سؤالا وجهه إلى معالى عبد الرزاق السنهورى بك فأجابه عنه بقوله: «توجد فعلا بوزارة المعارف إدارة لأداء الأغراض النافعة التى أشار إليها حضرة العضو المحترم فى الجزء الأول من سؤاله، وهى ترجمة المؤلفات الأجنبية ونقل المعلومات العلمية والإجتماعية والأدبيـة وثمرات الثقافة الأجنبية إلى اللغة العربية؛ وعنـد ما توليت وزارة المعارف أعدت تنظيم إدارة الثقافة العامة التى تتبعها إدارة الترجمة بما يكفل لها أداء مهمتها على الوجه الأكمل، وراعيت فى هذا التنظيم الجديد أنه يمكن الوزارة من أن تستعين بمن يمكن الاستعانة بهم من الكتاب والمترجمين من موظفين وغير موظفين فتعهد إليهم بأعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرفها لهم. وشكلت لجنة من كبار رجال الوزارة والجامعـة لاختيار الكتب التى تترجم، ووضع المناهج للترجمة وتعيين من يقومون بها. أما عن النفقات التى يحتاجها هذا العمل فإن الوزارة فضلا عما يوجد فى أبواب ميزانيتها من اعتمادات مرصودة لهذا الغرض لن تتأخر عن التقدم إلى البرلمـان بطلب ما يحتاجه هذا العمل الواسع النطاق من اعتمادات جديدة»

أما سؤال الشيخ فاتجاه إلى الطريق الأقوم فى تربية الشعب وترقية عقله ولغته وأدبه وعلمه وعمله؛ وأما جواب الوزير فاحتفاظ

بالنمط المألوف من مسايرة (الروتين)، ومشاورة اللجان، ومطالعة التقارير، ومماطلة الحوافز، حتى يتراخى الزمن ويفتر العزم ويتغير الحال وينتقل الحكم وينتهى كل شيء إلى لا شيء! وكان الظن بصاحب المعالى وزير المعارف وهو من هو فى منطقه وتعمقه وجده أن يعالج نقل المعارف الأجنبية على أنه تصحيح نهضة وتثقيف أمة وبدء تاريخ، فيجعله الهدف الأول لسياسة الوزارة فى عهده، والمنار الهادى لمن يسلك هذا الطريق من بعده

إذن بقينا فى نقل الثقافة الغربية على ما كنا عليه لم نتقدم خطوة: إدارة للترجمة فى مراقبة الثقافة العامة تشرف على خمسة مترجمين أو ستة ينقلون سفراً ضخماً فى التاريخ العام لا ندرى فى أى مدة ينتهى، أو كتاباً فى تاريخ انجلترة لماكولى لا ندرى أى أمة يفيد؛ ثم الاستعانة بالكتاب والمترجمين من موظفين وغير موظفين (فى أعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرف لهم)، وهذه هى الخطوة الجديدة فى الإدارة القديمة ولكنها إلى الوراء، لأن اختيار الكتب وتوزيعها على أحرار المترجمين تجربة تحققت فى بعض العهود ثم أخفقت. وإخفاقها إنما أتاها من نزعتها الفردية فى اقتراح الفكرة وانتخاب الكتاب واختيار المترجم. وبقاء الأعمال الفردية رهن ببقاء الفرد. والقاعدة عندنا أن يهدم الخالف ما بنى السالف حتى لا يكون لغيره بناء يقوم ولا عمل يتم. أما إذا أسس العمل على قانون أو مرسوم عز على الرياح أن تنال منه وإن سفت عليه التراب وزمجرت حوله باللغط.

وبعد، فهل نستطيع أن نعرف ولو بالحدس بعض الأسباب التى سوغت للوزارة أن تفضل إدارة للترجمة على دار للترجمة؟ يقولون إن من هذه الأسباب صعوبة الحصول على مائتى مترجم يصلحون لهذا العمل. واعتراف الوزارة بهذه الصعوبة اعتراف منها بالعجز عن أداء ما خلقت له؛ فإن من العار الذى لا يرحضه ندم ولا لوم ألا نجد فى جيلين نشأتهما وزارة المعارف فى مصر وفى أوربا، مائتين يحسنون اللغة العربية ولغة أخرى أوربية، وتعليمهما كما نظن يبتدئ مع الدراسة الابتدائية، وينتهى مع الدراسة الجامعية! فإذا سلمنا لهم أن ذلك هو الواقع فإن فى الإمكان أن يسدوا هذا العوز بطائفة من إخواننا العرب، إذ الغرض العلمى واحد، والتعاون الثقافى قائم. فإذا أعيانا الوصول إلى هذا، كما أعيانا الحصول على ذاك، بدأنا العمل بمائة أو بخمسين ثم بعثنا إلى أوربا فى كل سنة عشرة من خريجى الأزهر ودار العلوم والجامعة يخصصون فى درس هذه اللغات حتى يبلغ النصاب عدده.

ولو أن (البعثة الفهمية) — ولها فى ذمة الوزارة سمائة فدان من أخصب الأرض — سارت على النهج الذى رسمه لها صاحب المعالى حلمى عيسى باشا لما شكونا هذا النقص وأحسسنا ذلك القصور

كذلك يقولون إن هؤلاء المترجمين إذا تيسر الحصول عليهم سيصيبهم داء الموظفين فيعملون عشر ما يستطيعون؛ وإذن يكون عشرون برأسهم ضميرهم، خيراً من مائتين برأسهم كبيرهم. ودواء ذلك إذا جاز أن يكون عين كلوء تراقب، ويد حازمة تصرف، وتحديد يومى لإنتاج المترجم يطلب منه ويناقش فيه ويحاسب عليه

أما غير هذين الإعتراضين على تهافتهما فرده إلى الهوى لا إلى العقل. والحق أن الغار الذى ضفره عطارد لهذا العمل العظيم الخالد لا يزال مرفوعاً بين يديه ينتظر الرؤوس التى تستحقه. وما زلت قوى الأمل فى أن يكون من نصيب الصديقين العزيزين عبد الرزاق السنهورى واحمد أمين. فليت شعرى أهو الحذر الذى يخطئ، أم هو القدر الذى يصيب؟

يا معالى الوزير! إنا أمة جاهلة فينا أفراد يعلمون. وإن من الخزى أن نظل كذلك وآباؤنا هم الذين علموا الشعوب ومدنوا العالم! إن الجهل باللغات الأجنبية عندنا مذمة وهو عند غيرنا محمدة. وعلة ذلك أن لغتنا لا تزال لغة العلم القديم؛ فمن اكتفى بها اتهم بخفة الوزن وقلة العلم. وهيهات أن ندرأ عنها وعنا هذه المعرة إذا لم تنقل إليها المعارف الحديثة على الوجه الذى أقترح! بهذا وحده يا معالى الوزير تعود لغتنا إلى الحال التى قال فيها كاهن قرطبة أيام كنا سادة الأندلس: «إنا نحب أن نقرأ الشعر والقصص، وندرس الدين والفلسفة فى اللغة العربية، لأنها لغة عذبة الألفاظ بليغة الأداء. ولا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية، وشبابنا الأذكياء كافة لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم. وكلما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها أعجبوا بها. فإذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا: إن الفائدة منه لا تساوى التعب فى قراءته[1] ...»

ذلك ما قالوه فى لغتنا بالأمس؛ وهو نفسه ما نقوله فى لغاتهم اليوم! فهل فى ذلك لقوم بلاغ؟

احمد حسن الزيات

(١) تاريخ العرب فى أسبانيا لدوزى بالفرنسية ج ٢ ص ٣ ١

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٣ —

* فى ج (١٠) ص ٢٦٣ .

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله (م) والقلب عنـــدكم موهوق

وجاء فى الحاشية : موهوق روى مكانها موثوق .

قلت : لم يرو موثوق مكان موهوق فى كتاب ، ولم يجئ ذلك عن راوية . ولن يعد تصحيف ناسخ أو تطبيع طابع رواية من الروايات ... وكان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى وجد هذه اللفظة (موثوق) فى طبعة كتاب فسارع إلى تخطئة الشاعر ، قال فى مجلته (الضياء) س ١ ص ٥١٥ :

« وأغرب منه ورود مثل ذلك فى كلام أناس من أهل الجاهلية كقول عدى بن زيد العبادى : ويلومون ، البيت ... يريد موثوق »

والشاعر لم يقل (موثوق) وإنما قالته المطبعة ، والبيت من شواهد اللسان والتاج فى (و ه ق) .

وورد فى ج ١٠ ص ٢٦٤ فى قصيدة عدى هذا البيت :

مرة قبل مزجها فإذا ما   مزجت لذ طعمها من يذوق

و (مرة) هنا هى (مزة) بالزاى . والمزة — كما فى اللسان — الخمرة التى فيها مزازة ، وهى طعم بين الحلاوة والحموضة ، وحكى أبو زيد عن الكلابيين : شرابكم مز .

وجاءت (مرة) فى طبعة الأغانى . والبيت من شواهد اللسان والتاج فى (م ز ز) والبيتان من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

بكر العاذلون فى وضح الصبح (م) يقولون لى : ألا تستفيق

وفيها هذا البيت المشهور :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت   قينـــة ، فى يمينها إبريق

ولم يورد أبو الفرج هذه القصيدة فى كتابه (الأغانى) فى أخبار قائلها المنسوبة إليه ، وأوردها فى أخبار حماد الراوية ، فهل صاغها حماد ... ؟

* فى ج ١٠ ص ٣٧ وقال (يعنى ابن الشبل البغدادى) :

احفظ لسانك ، لا تبح بثلاثة   سر ومال — ما استطعت — ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة   بمكفر ، وبحاسد ، ومكذب

قلت : بمكفر . وجاءت فى (طبقات الأطباء) بمفكر . والمفكر — يا أخا العرب — لا يكفر ...

* فى ج ٦ ص ٢٣٧ : فكان إذا سمع منه كلاماً يسجع فيه ، وخبراً ينمقه ويرويه — يَبْلُقُ عينيه ، وينشر منخريه .

وجاء فى الشرح : بلق عينه كنصر وأبلق فتحها وأقفلها .

قلت : جاء فى اللسان : بلقه يبلقه بلقاً وأبلقه فتحه كله ، وقيل فتحه فتحاً شديداً ، وأغلقه ، ضد .

وعندى أن الأصل (يُبرّق عينيه) قال التاج : برق عينيه تبريقاً إذا وسعهما وأحد النظر ، قال أعرابى فى المعاتبة بينه وبين أهله :

فعلقت بكفها تصفيقا
وطفقت بعينها تبريقا
نحو الأمير تبتغى تطليقا

وفى الأساس : ومن المجاز : وبرق عينيه : فتحهما جداً ولمعهما .

وأغلب الظن أن (ينشر منخريه) هى (ينشز منخريه) أى يرفعهما .

والقول لأبى حيان التوحيدى فى الصاحب بن عباد وأبى طالب العلوى أحد أصحابه ، أى فكان أبو طالب إذا سمع كلاماً منه أى من الصاحب الخ ... وأبو حيان هو صاحب كتاب (مثالب الوزيرين) والوزيران هما ابن العميد والصاحب ...

* فى ج ٧ ص ١٨٢ .

وصاحب أصبح من برده   كالماء فى كانونَ أو فى شَباط

ندمانه من ضيق أخلاقه   كأنهم فى مثل سم الخياط

نادمته يوماً فألفيتـــه   متصل الصمت قليل النشاط

حتى لقـــد أوهمنى أنه   بعض التماثيل التى فى البساط

قلت : جاءت (شباط) بفتح الشين وهي بضمها . في التاج : شباط وسباط كغراب اسم شهر من الشهور بالرومية . قال أبو عمرو : يصرف ولا يصرف . (وهو) قبل آذار يكون بين الشتاء والربيع . قال الأزهري : وهو من فصول الشتاء ، وفيه يكون تمام اليوم الذي تدور كسوره في السنين ، فإذا تم ذلك اليوم في ذلك الشهر سمّى أهل الشام تلك السنة عام الكبيس ، وهو الذي يتيمن به إذا ولد مولود في تلك السنة أو قدم قادم من بلد .

* في ج ٨ ص ١٨٢ ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خاف ، ويخبر بما هو مجمجم .

قلت : أغلب الظن أن الأصل هو (الإبقاء على أهل العلم) في الصحاح : أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته . وفي الأساس : وأبقى عليك بُقيا وبقية ، وأرعى عليه : أبقى ، وهو حسن الدَّعوى والدُّعيا كالبَقوى والبُقيا .

ومن أمثالهم : لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ . قال الميداني : أبقيت على الشيء إذا تركته عطفاً عليه ورحمة له . يقال هذا للمتوعد

* في ج ٦ ص ١٨٥ ودخل إلى الصاحب رجل لا يعرفه ، فقال له الصاحب : أبو من ؟ فأنشد الرجل :

وتتفق الأسمـــاء في اللفظ والكنى
كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائقُ

فقال له : اجلس يا أبا القاسم .

قلت : رواية البيت هي :

فقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى
كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائق

جاء في (خزانة البغدادي) . قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وذلك كما قال صديق مولانا القريب وابن عمته النسيب الفرزدق بن غالب وقد قيل له : انزل على أبي قطن قبيصة ، فحسبه ابن مخارق الهلالي فإذا هو آخر ، وذم قراه وجواره فقال :

سرت ما سرت من ليلها ثم وافقت
أبا قطن ليس الذي لمخارق

وقد تلتقي البيت . وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج (ولكن ميزوا في الخلائق) والذي في الخزانة هو أضبط .

و (دخل إلى الصاحب) ربما كانت (على الصاحب) وإن جازت (إلى) .

* في ج ١١ ص ١٥٥

كنت في عينها كرود كحل صرت في عينها كشوك السَّبال

وجاء في الشرح : السبال سنابل الحنطة وغيرها جمع سبلة .

قلت : هو السَّيال ، في اللسان : السيال بالفتح شجر له شوك أبيض وهو من العضاه . وروى اللسان والتاج للأعشى (والبيت من معلقته) :

باكرتها الأغراب في سنة النوم (م) فتجرى خلال شوك السيال[1]

قلت : الأغراب الأقداح والمفرد غَرْب . وقد جاءت الأغراب هنا في المعجمين بالعين وإنما هي بالغين .

* في ج ٨ ص ٢١٠ ومنها (أي من وجوه الواو ومواقعها) أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك : استوى الماء والخشبةُ أي مع الخشبة .

قلت : جاءت الخشبة مرفوعة وهي منصوبة . والقول للإمام أبي سعيد السيرافي في المناظرة بينه وبين متى بن يونس القنائي . والإمام يعني بالفعل (استوى) ارتفع لا تساوى حتى يجوز العطف ، ويقصد واو المفعول معه لا العاطفة إذ قد ذكر هذه في أول بحثه فقال : منها معنى العطف في قولك أكرمت زيداً وعمراً و (استوى الماء والخشبة) من أمثلة المفعول معه في همع الهوامع وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ...

* في ج ٨ ص ٨١

رأيت قلنســـوة تستغيث (م) من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قُلِعَت وهي طوراً تميل (م) من عن يسار ومن عن يمين

قلت : وقد قَلِقَت فهي الخ . ولو قلعت ما كانت تميل من عن يسار ومن عن يمين ...

* في ج ٩ ص ١٢ وقلت كما قال رؤبة لما استزاره أبو مسلم صاحب الدعوة :

لبيك إذ دعوتني لبيكا أحمـــد ربي سابقاً إليكا

(١) السيال أصولة أمثال ثنايا العذارى . . . قال الأعشى : باكرتها البيت ، يصف الخمر (اللسان) .

على قارعة الطريق

صور من الجيل الجديد

للأستاذ سيد قطب

١ — تلميذة

لقيتها منذ عام واحد صبية أقرب إلى أن تكون طفلة . كانت في السنة الرابعة الابتدائية ، تلميذة لأحد الزملاء ... وكان معي حينما تقدمت هي إليه لتحييه تحية التلميذة للاستاذ في الطريق ، وسلمت عليَّ معه في براءة .

واليوم لمحتها . لا في الطريق ، ولكن في محل عام من محال « السندوتش » وغير السندوتش أيضاً ! لم تكن وحيدة . كان معها رفيق تلمع على كتفيه نجمة ... قلت لعله أخوها أو قريبها فما تجرؤ طفلة على الجلوس هكذا في ركن منزول خفي عن الأنظار ، مع غير قريب !

ولم ألق بالاً إلى الأمر بعد النظرة الأولى . ولكن ماذا ؟ هأنذا أسمع أصواتاً فيها شيء . شيء غير حديث الإخوة أو الأقرباء أو ممكن هذا ؟ أو يكون ؟

نعم يكون فنحن في الجيل الجديد !

لم تكن قد رأتني بعد كما رأيتها ، لقد كانت مستغرقة فيما هي فيه . ولكن ها هي ذي تراني ... وأقول الحق كي لا أظلمها ... لقد خجلت وتوردت وجنتاها ! أم لعلهما قد توردتا لسبب آخر ؟

على أية حال لقد همست له ، وهمس لها . ثم إذا هما ينسحبان ... أأكون قد عكرت عليهما الجلسة « البريئة » ... ؟ ربما أكون !

٢ — عذراء

كان يقف في محطة الترام ، وقد غاب . كان يقطع الطوار جيئة وذهوبا من ملل الانتظار . وفجأة رفع عينه إلى شرفة المنزل الفخم المقابل فتقع عينه على فتاة .

لم يكن يريد شيئا حينما رفع يده يمر بها على موضع شاربه ! كانت حركة آلية شبه غريزية في هذه الفاجأة . ولكنه وجد يدها ترتفع بالتحية ، ولما كان الموقف كله هزلا في نظره ، فقد تحرك حركة غريزية أخرى ، حرك أصبعه للاستدعاء !

قلت : رواية البيت هي :

أحمـد ربا ساقني إليكا

وبعده :

الحمـد والنعمة في يديكا

وقبل الأول :

قلت ونجي مستجد حوكا

وعندي أن (صاحب الدعوة) هي صاحب الدولة وإن جاءت الدعوة في كتب كثيرة .

* في ج ٧ ص ٢٥٠ فأما أخونا أبو الحسين قريبه — أعزه الله — فقد ألزمني بإخراجه إلى أعظم منة .

قلت : ضبطت (أعظم) بالكسر كأنها مجرورة بإلى ، وجوزت كسره عند ضابطه الإضافة . والقول هو : ألزمني بإخراجه إليّ أعظمَ منة . يقال ألزمته الشيء فالتزمه كما في الصحاح وغيره ، وألزمه به كما في التاج ، ولم يرد أزمه إلى الشيء .

والجملة من رسالة للصاحب بن عباد إلى أبي على الفارسي وقد جاء فيها :

« والشيخ — أدام الله عزه — يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته ، بعبارة ما افتتح من البر بمكاتبته ، ويقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه »

وكلام الصاحب هذا مطرب مثمل[1] . وأبو علي هو « أوحد زمانه في علم العربية ، كان كثير من تلامذته يقول : هو فوق المبرد » كما روى ياقوت في كتابه . وما القول في إمام ، ابن جني تلميذه ؟

(١) الأساس : وأثملهم الشراب .

وانتفت من الشرفة ، لتمضى دقائق قليلة ، ثم يجدها بعد ذلك على الطوار !

لقد ارتبك قليلا . ولكنه تماسك ليرى ! فما كان يخطر على باله أن يتم الأمر كله بهذه السهولة . ومن يدرى لعلها لم تلحظ إشارته ولم تحس بوجوده وإنما هى تمضى لشأن خاص .

وقال كلة عابرة ، مما يقوله الشبان للفتيات . وما كان أشد دهشته حين أشارت إليه أن يصمت هنا وأن يمضيا هناك .

إنها لتلحظه هنا كل صباح . وإنها لتعرف أنه مدرس فى المدرسة الثانوية بالحى ، وأنه خاطب ليتزوج . فأين هى « دبلة » الخطوبة ؟

واستمر فى عبثه فقال : لقد عدلت نهائيا عن الزواج . فما راعه إلا أن تقره فتاة على هذا العزم . لأن الطلاقة هكذا هى أليق الأوضاع !

والتقيا مرتين قبل أن ترافقه إلى داره ! ...

وفى الصباح سأل فى سخرية : ألا تتزوجيني ؟ قالت : لا . إن أبى مستشار ، ولن يرضى بالمدرسين !

وسألته عن شاب آخر يدرس معه فى المدرسة نفسها : ما اسمه وأية مادة يدرس ؟

وواعدته مرة ثم أخلفت الميعاد !

وبعد يومين شاهدها مصادفة ... برفقة ذلك الشاب !

إنها من الجيل الجديد ...

٣ — خطيبة

جلسا قبالتى فى ترام رقم ١٥ ، وكنا ثلاثة فى الحجرة ، كان يبدو عليه شغف وفتنة ، وكان يبدو عليها دلال وإغراء ... إنهما خطيبان . لقد لمحت فى أصبعيهما « دبلتين » فى اليد اليمنى ...

وسمعتها تقول : الحمد لله إذ كنت موجودا لئلا تظن شيئا !

وقال — فى لهجة يخالطها العتاب — : ماذا تقولين ؟ أظن شيئا ؟ ماذا أظن ؟ وافرضى أننى لم أكن موجودا ... اسمى : إنه لا يمكن أن يجول فى نفسى أى شىء عنك . إن على الإنسان أن يبحث عن الأسرة أولا وعن الأم ثانيا ... ثم يثق ، فلا يفتش بعد ذلك أبدا . !

وتبادلا النظرات فى إغراء ...

ونزل فى محطة وتابع الترام سيره ...

ثم يصعد فى المحطة التالية مباشرة رجل آخر يأخذ مكان الرجل الأول . فتتصافح الأيدى والعيون والأجسام أيضاً ... ويسأل : أين نزل ؟ فتجيبه وهى تغمز : فى المحطة السابقة . فيعقب هذا ضحكة مشتركة ساخرة ... ثم يأخذ وجهها طابع الجـــد ، وهى تقول :

إنت عارف « ياسوسو » أننى قبلته من أجل خاطرك انت !

فيجيب وهو يربت على يدها بين يديه :

« معلهش » ياميمى ... « برڤان كويس » !

٤ — زوجة

كنت أعرفها سيدة فاضلة . وكانت تزور أسرة أخرى أعرفها بنظام واطراد ... ثم انقطعت عنها فلم أعد أراها هناك .

قلت لها : لم لا تزورين بيت فلان ؟

فترددت هنيهة ، ثم انطلق لسانها ... لسان حواء !

قالت : لأننى أخجل أن أقابل فلانا هذا ، بعد ما اتخذتنى زوجته ستاراً لأشياء ، وهو يثق بى فلا يفكر فى هذه الأشياء .

وانطلقت تحكى :

لقد كانت يوما ما هناك ، ثم استأذنت مبكرة لأنها تنوى الذهاب إلى الخياطة ... وما كان أسرع الزوجة لأن ترجوها فى الانتظار هنيهة حتى تتهيأ للخروج معها إذ أنها قد غاضبت خياطتها وتود أن تعرف خياطة جديدة .

ولم يمانع الزوج بطبيعة الحال ، فخرجتا بعد قليل .

ولم تكن صديقتها لتشك فى أنها تعنى ما تقول . فلهذا دهشت حينما فاجأتها الصديقة بعد خطوات بالاستئذان منها بعد أن قامت بمهمتها ... وأنها تقصد إلى جهة أخرى .. إلى موعد « برىء » !

وقالت الصديقة المدهوشة : ولكن يافلانة ما الذى تنقمين من زوجك ، وهو رجل مهذب ، ومركزه الاجتماعى كبير ، وسيرته معك طيبة ؟

وقالت لها الزوجة : حذار أن تفهمى أننى أنقم من زوجى

شيئا . إنه ما تقولين وأكثر . وإنه لوالد أطفالى ، ورب بيتى ... ولكن يافلانة ... لا بد من التغيير بين الحين والحين !!!

وفغرت الصديقة فاها عجبا ... فما راعها إلا الزوجة تقول : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى ! نحن فى جيل جديد ! !

٥ — أم

قلت له : لماذا فصمت الخطبة ، وقد كنت معجبا بالفتاة ؟

قال : أمُّها !

قلت : ومالك أنت وأمها إذا أعجبتك ذاتها ؟

قال : فإذا شاءت هذه الأم أن تغلب ابنتها ؟

قلت : ويحك ! أهى ألغاز ؟

قال : كلا ! هو ما أقوله لك .

قلت : اتق الله ! ولا يبلغ بك العبث هذا المبلغ فى الحديث عن العائلات !

وأقسمَ : إنه لصادق . وإنها لامرأة نصف ، لم تشبع بعد من الدنيا . وإنها لا ترى الحياة إلا ضراعا ... ولو مع ابنتها !

ولما كنت أعرف صدق صاحبي — كما عهدته — فقد رحت أحوقل وأستعيذ ، وأخبط كفا على كف ... ثم أقول : دعنا من الأخلاق . فأين الأمومة يا أخى ؟ عاطفة الأمومة ؟

قال : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى . يا مولانا نحن فى جيل جديد !

إنها هكذا تقول !!

٦ — أب ،

نزل من عربته الفخمة ، وجلس على « البار » الصغير تحت عمارة « الإيموبليا » أمام مفرق الطريق ... جلس ينفض المرات من بعيد ، ويحملق فى السيقان العارية ، ويتبعها بنظره إلى بعيد !

ثم لمح على مقربة رجلا وفتاة ينتظران انفتاح الطريق للمرور . ورأيت الرجل يشير للفتاة فى حذر وتهيب على هذا الجالس ، ثم يندفع للتسليم عليه فى انحناء ، ويدعو الفتاة لتسلم على عمها فلان بك .

واتسعت حدقتا البك ، واختل توازن عضلات وجهه وهو يبتسم ويحملق ويهز يد الفتاة آن .

وقال : لماذا لم تمر عليَّ لتذكرنى بمسألتك ؟

قال الرجل فى تلعثم : البركة فيك ياسعادة البك .

قال : غدا — إن شاء الله — لا بد أن تمر عليَّ (ونظر للفتاة) ! — ... والآن تجلسان لتناول شيء ما .

وقال الرجل : متشكرين ياسعادة البك ، وهزت الفتاة رأسها شكراً .

قال سعادة البك : آه . طيب . هنا لا يناسب الجلوس . ولكن ستأخذان مِمِي الشاى فى « جروبى » غداً إن شاء الله ! وفى الصباح تمر عليَّ فى المكتب من أجل مسألتك !

وسلما وانصرفا شاكرين ... والرجل تبرق من الفرح عيناه

ونظرت فاذا البك يتقصى تقاطيع جسد الفتاة — ابنة الرجل — وشفتاه تتلمظان وعيناه ! !

* * *

منذا الذى دفع بالجيل إلى الهاوية ؟ منذا الذى جعل هذه الصور الشائهة تتوالى أمام عينيه دون استنكار ؟

بضعة مواخير ... بعضها يسمى مجلات . وبعضها يسمى أفلاما . وبعضها يسمى أغانى تتسور جدران البيوت عن طريق المذياع ... وبضعة « هلافيت » لا يهمهم أن يكون فى البلد فراش نظيف . يسمون أنفسهم من حملة الأقلام !

سيد قطب

مناقشات في الصيف ...

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

— ١ —

« التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ... فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة .. »

« فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية و... إنما هي ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر ، أدركنا سر الإعجاز في تعبير القرآن »

والأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله حيثما تعرض لغرض من الأغراض التي ذكرنا ... »

فليس هو (أي التصوير الفني) حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيثما اتفق ، إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة وخصيصة شاملة »

بهذا التعميم يبسط الأستاذ سيد قطب رأيه الذي يربط به إدراك « سر الإعجاز في تعبير القرآن »

وقد قلت في مقالي السابق[1] عن كتابه « إن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة مفضلة في التعبير يقتضي الاعتماد على الإحصاء وظهور نتيجته بكثرة عددية ، فهل إذا أحصينا طرق التعبير في القرآن نجد ما قرره المؤلف يحظى بالكثرة العددية ؟ إني أترك له أن يستعرض صفحات القرآن ، فسيجد أن التصوير الفني أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة في القرآن ، وليست هي الغالبة ولا الكثيرة ، فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافىء المعنى واللفظ ، الذي يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها ، وتارة يستعير لفظة واحدة من غير أسرة الألفاظ التي في الجملة ليحرك بها الخيال ويلمس الحس لمساً رفيقاً ، وتارة تكون ألفاظ الحقيقة وملابسات الخيال متساوية ، وتارة تكون ملابسات التصوير وإثارة الخيال هي الغالبة ، وتارة تكون هي الكل ، ومع ذلك يحتفظ القرآن في كل أولئك بأسلوبه المتفرد وسر إعجازه .. فليس التصوير الفني وحده « هو سر الإعجاز في تعبيره » .

ولكن الأستاذ سيد يقول في الرد عليّ « نعم (أي أن نتيجة الإحصاء تؤكد رأيه) وقد كانت مهمتي هي هذا الإحصاء وكان حكمي قائماً على هذا الإحصاء »

وقد وصلنا بهذا الرد إلى مكان تغني فيه الأمثلة والشواهد ما لا يغني الجدل . ولست أستطيع أن أسرد « القرآن كله » في مجلة الرسالة للاستشهاد كما لم يستطع صاحب « جحا » أن يعد النجوم حينما سأل « جحا » كم عدد نجوم السماء ؟ فقال له : كذا ... فلما تشكك ذلك الصاحب قال له جحا : إن لم تصدقني فعدها أنت ... »

وهأنذا أفتح المصحف حيثما اتفق ، فاقرأ معي من سورة الفرقان : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذي له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدّره تقديراً . واتخذوا من دونه آلهة لا يَخلُقون شيئاً وهم يُخلَقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، وقال الذين كفروا : إن هذا إلا إفكٌ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ؛ فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطيرُ الأولين اكتَتَبَها فهي تُملَى عليه بكرةً وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض . إنه كان غفوراً رحيماً » . ولنفتح القرآن مرة أخرى حيثما اتفق ولنقرأ من سورة الأنعام :

« الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلماتِ والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يَعدِلون . هو الذي خلقكم من طين ، ثم قضى أجلا . وأجل مسمى عنده ، ثم أنتم تمترون . وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون . وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » . ولنقرأ من سورة الأعلى :

(١) انظر العدد ٦١٧ من الرسالة .

« سبّح اسمَ ربّك الأعلى . الذى خلق فسوّى . والذى قدّر فهدى . والذى أخرج المرعى . فجعله غُثاء أحْوَى . سنُقْرِئُك فلا تنسى . إلا ما شاء الله . إنه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرك لليسرى . فذكّر إن نفعت الذكر ... »

ولنقرأ من النساء : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم وكان الله سميعا عليما . إن تُبْدُوا خيرا أو تخفوه أو تَعفُوا عن سوء فإن الله كان عفوًّا قديرا . إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مُهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيما » . واقرأ من سورة الأعراف : « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين . قال ياقوم ليس بى ضلالة ، ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين . أوَعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذّبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوما عَمِين » وهكذا سأتعب وأتعب القارىء من عد آيات القرآن للاستشهاد بها فى هذا المعرض كما يتعب من يعد نجوم السماء ...

فأين فى هذه الآيات وأمثالها الكثيرة « التصوير الفنى » الذى لفت نظر الأستاذ سيد وأثار خياله ، حتى وهو طفل ، بحبكته فى اللوحات ذات الوحدة والتناظر والتمثيل الجامع ذى الظلال والأجواء الشاملة كما يتجلى فى « ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ ، فإن أصابه خير اطمأنّ به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ... » وفى : « مَثَلُ الذين كفروا بربهم ، أعمالُهم كرمادٍ اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء » وفى « له دعوة الحق . والذين يَدْعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليَبْلُغ فاهُ ، وما هو ببالغه ... » وفى « ومن يشرك بالله ، فكأنما خرّ من السماء فتخطَفُه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ... »

فهل نستطيع أن نقول إن أمثال هذه الآيات التى ذكرناها من سور الفرقان والأنعام والأعلى والنساء والأعراف لا تعبر عن « معان مجردة أو حالات نفسية أو صفات معنوية أو نماذج إنسانية ... الخ » وهل نستطيع أيضا أن نقول إن « نوع » التعبير فى هذه الألوان واحد من الجهة الفنية ؛ وهل لا نلمس فى هذه الآيات نفس الإعجاز الذى نراه فى غيرها من أدوات التعبير القرآنى ، حتى نربط ما بين الإعجاز وبين التصوير الفنى ؟

لا . إنى لا أقر الأستاذ قطب على هذا التعميم ، وكنت أحسبه فلتة قلم دعا إليها حماسه للموضوع ولكن رده علىّ بعد ذلك يؤكد أنه « يعنى ما يقول مرتكنا فيه إلى الدليل » . فلم يكن لى بد أن أسرد له وللقراء تلك الشواهد التى سلفت ، محيلا إياهم على استعراض القرآن . ليتبينوا أن « التصوير الفنى » أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة ، وأن القرآن يحتفظ بروحه الفذ وجميع خصائصه الإعجازية فى كل هذه الأدوات ...

— ٢ —

أنا ما خشيت على القرآن من إدراك « سر الإعجاز فى تعبيره » كما ظن الأستاذ سيد ، وإنما بينت أننا لو ربطنا بين سر الإعجاز وبين التصوير الفنى وحده نكون قد سوينا بين تعبير القرآن وبين غيره من مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة إذ أننا نجد فى مواريثهم استخدام التصوير الفنى للتعبير عن « المعانى الذهنية والحالات النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور ... الخ » ومع ذلك لا نجد فى بيانهم هذا اللون المتفرد ولا نجد فى نفوسنا هذه الاستجابة المسحورة لتخييلهم وتصويرهم كما نجدها حينما نتلو القرآن .

فأكرر للمرة الثانية أن المعجز من أمور الحياة ما لا يمكن الوصول إلى سره واستخدامه ، وكل أدوات التعبير التى أشرنا إليها قد استخدمها البلغاء . ولكن شتان بين الروح الخفى الذى يترقرق فى بيان القرآن ويشع من « هياكله » البيانية فى السطور وما بينها وبين الهياكل البيانية البشرية الجميلة ... شتان بين ما يمكن إدراكه بالمقاييس والمسافات ، وبين أسرار ذلك العالم الأعلى الطليق

الذي تنزل منه في القرآن روح متفرد لا يستطاع حده بحدود وأربطة . فلا يصح أن نربط بين سر الإعجاز وبين أي أداة من تلك الأدوات. إن الكون صنع الله والقرآن كلام الله ، وأسرار الإعجاز في كلامه كأسرار الإعجاز في صنعه ، نستطيع أن نصف آثارها في نفوسنا وعجبنا منها . ونستطيع أن نهتدي فيها إلى معالم للجمال تقاس ، وعجائب للبلاغة تجلى ولكنا لا نستطيع أن نقول : إنها موضع سر الإعجاز في تعبيره .

— ٣ —

كل ما في القرآن من « منطق » الوجدان في إثبات عقيدة التوحيد أنه ساق القضايا العقلية بتعبير جميل أخاذ حرك به الوجدان والمشاعر مع تحريك الذهن والحكم لصلب كل قضية ، ولم يسقها بأسلوب جاف كأسلوب المناطقة الرياضيين الذي تتزاحم فيه المعاني في ألفاظ ضيقة . وأي كلام اعتمد على «الحقائق البديهية الخالدة » وعلى مقدمات ونتائج صحيحة سواء أكانت محسوسة ومنظورة أم غير محسوسة ومنظورة فهو منطق ذهني . فإذا جمع إلى صحة المقدمات والنتائج جمال التعبير وروعة الأسلوب وإشراق الطلعة فهو منطق «وجداني» كذلك . منطق الوجدان — وإطلاق « المنطق » هنا تجوز في التعبير — هو الذي يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التي لا تعتمد على الحقائق الثابتة و« نقط الارتكاز» الواضحة في عالم البداهة و«الحكم العقلي » . والتأثر بهذا « المنطق » تأثر وقتي لا يترك رواسب في الذهن ومقاييس تملأ اليد ، يستطيع الفكر أن يتحاكم إليها ، ولأنها ألوان وظلال ونغمات وأعراض غير ملازمة تنفعل لها النفس انفعال الانقباض أو الانبساط وقتاً ثم يزول تسلطها عليها .

وليست هذه الأعراض هي طريق إقرار « العقائد » ودعائم الفكر والحياة عند الراصدين المتيقظين الواعين ، وخصوصاً الدعامة الأولى والقضية الكبرى قضية « التوحيد » التي هي قضيـــة الكون كله وأعظم شئونه ! إن الوجدانيات من الخطابيات والشعر والموسيقى وسائل إقناع وقتي للبسطاء ، وليست وسائل يقين ثابت للذين يبحثون لعقولهم عن عواصم تستند إليها من طوفان الأهواء والنوازع والوجدانات المتقلبة ... وما كان للقرآن وهو يتصدى لإثبات القضية الكبرى أن يعتمد على « المنطق » الوجداني . وإني أرى الذهن في إثبات العقائد وخصوصاً « التوحيد » هو أوسع المنافذ وأصدقها وأدقها ، كما بينت في المقال السابق بهذا الخصوص .

والذي يدعوني إلى أن أفهم أن الأستاذ سيذهب إلى أن موطن العقيدة — بما فيها التوحيد — هو الوجدان قوله «موطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان » « وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً » « فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة . فأما العقيدة فهي في برجها العالي هناك ، لا يرقى إليه إلا من يسلك سبيل البداهة ويهتدي بهدى البصيرة ويفتح حسه وقلبه لتلقي الأصداء والأضواء » .

فهذه كلمات صريحة (فيها الحصر بأما والنفي والاستثناء) في إقصاء الذهن عن منطقة العقيدة ، وفي التفريق بين عمل الذهن وعمل الوجدان في الحياة والعقيدة ، اضطررت إلى مناقشتها في مقالي السابق كظاهرة لمذهب كلامي فشا الحديث به في هذا العصر الذي اتصل فيه المسلمون بغيرهم من الذين وجدوا أصول دينهم لا تستقيم مع الفكر والحكم العقلي فالتمسوا العقيدة عن سبيل الوجدان وحده

ومع أن هذا النص من كلام المؤلف يكفي لأن يسلكه مع القائلين بأن منطقة العقيدة هي الوجدان وحده ، فإنني لم أغفل النظر إلى ما قاله قبيل هذا النص مما يستفاد منه أنه لا يخرج الذهن إخراجاً كلياً من منطقة العقيدة .

ولذلك لم أناقش كلامه مناقشة حرفية ولكني ناقشت الفكرة التي تشيع في جو الفصل كله . ولننه هذا الجدل بالمثال فإنه أبلغ في الحجة وأروح للنفس . قلنا إن مسألة المسائل التي دار عليها أكثر جدل القرآن هي عقيدة التوحيد . وأنسب الآيات التي تناولت هذا الموضوع هي آيات سورة الأنبياء وقد ساقها المؤلف كدليل على ما ذهب إليه فلنقرأها معاً :

« أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنشِرُون . [لا (يَنشُرُون) كما ضبطها المؤلف . فليضمها إلى ما نبه إليه

فضيلة الشيخ السبكى] . لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ! لا يُسأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وهم يُسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة .. قل هاتوا برهانكم ! هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِىَ وذِكْرُ مَنْ قَبْلِى، بل أكثرُهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » فهل ترى هذه الآيات تركت حجة « ذهنية » يمكن إيرادها للكر على مزاعم القوم ثم لم تفعل ؟ « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنْشِرون » فالإله هو وحده الذى يخلق ويحيى ويُنْشِرُ الخلائق من الأرض . فهذا مقطع من مقاطع الاستدلال بكلمة واحدة يدور بها الذهن فى استعراض سريع للأرض وكائناتها للبحث عن حىّ مخلوق واحد لغير الله فلا يجد . وإنه لَلدّليل الاستقرائى بعينه ! ذلكَ الذى بنى عليه (بيكون) الفلسفة الاستقرائية الحديثة .. وإنه لَلدّليل المفضّل عند المربين وعلماء النفس .

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وهذا مقطع آخر من مقاطع الاستدلال فى كلمة واحدة أيضاً ... وإنه للدليل التطبيقى بعينه ! أحد ضروب الأدلة الكبرى ، يطبق فيه العقل فى ظروفه المتسعة ما يدركه من لوازم تعدد الرياسات وفساد الأمور إذا تولتها أيد متعددة سيكون بينها بالطبع ما يكون بين المتعددين ولا يمنع خلافهم وتنافسهم وتحاسدهم أنهم آلهة فى طباع مختلفة عن الآدميين . فإن التصور البشرى لا يستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه هو ، فهو معذور !

« فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ذلك موقف وجدانى فيه انفعال وتقزز من تلك الدعوى وتنزيه لله عما وراءها من أزمات ومحرجات . وهو موقف معترض للاسراع بالتنزيه تعود الآيات بعده إلى الاستدلال « لا يُسأل عما يَفعل وهم يسألون » وهذا مقطع آخر فيه ضرب عظيم من ضروب الاستدلال هو الدليل العملى الواقعى ، وهو كذلك أحد ضروب الأدلة الكبرى وله فى الفلسفة العصرية المقام الأول إذ به تسير الحياة العملية وهو محور الاجتماع ...

فما دام الواقع أن جميع الآلهة المزعومة مَلَكَ الناسُ أن يواجهوها بالمسئولية والمحاكمة فلا يصح أن تكون آلهة ما دامت تقع عليها الدينونة ... ولكن الذى خلق السموات والأرض لايملك عابد له أن يرفع عينه إليه بمسئولية ، بل ليس له إلا التسليم والإذعان مادام عاجزاً عن الهرب من أقطار السموات والأرض ... « من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليَمْدُدْ بسبب إلى السماء ، ثم لْيَقطع فلينظر هل يُذهِبَنّ كيدُه ما يغيظ ! »

وهل فيما زعمته الوثنيات والإشراكيات شخصية إلهية لم تسأل ؟ إن آلهة اليونان والهندوس وغيرهما كما وردت فى أساطيرهم ذات صفات عاجزة فيها العبث والغلط والنازعات التى كان وراءها مسئوليات .

« أم اتخذوا من دونه آلهة . قل هاتوا برهانكم ! » إذاً نحن فى مقام جدل كبير يتسع للرد وقرع الحجة بالحجة وتشقيق الدليل وراء الدليل ، ولسنا فى مقام تسليم بوجدان عن طريق تعريض « الحس والقلب للأصداء والأضواء » والخطابيات والشعريات والنغمات .

« هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » وهذا مقطع عظيم أيضاً من مقاطع الاستدلال هوما يسمونه « الدليل التاريخى » إذ أن التاريخ لم يثبت حياة رسول جاء قومه بغير الوحدانية ... إذاً فقد سد القرآن محالات القول والاستدلال أمام المشركين حتى أثبت أنهم لا يستندون فى دعواهم إلى أى حق ، وإنما إلى التكبر والجهل والإعراض . وكان هذا الختام « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » نتيجة منطقية ذهنية واضحة لمقدمات واضحة أخذت بضروب الأدلة جميعاً ولم تترك مفراً لجدل مجادل ...

فكيف بعد هذا كله يضرب الأستاذ قطب هذه الآية مثلا فى أن القرآن تناول مشكلة التوحيد بلا جدل ذهنى ؟ ! إن المنطق هنا منطق ذهنى دقيق أخذ من موارد الكون والنفس جميعاً ، غير أنه ورد بتعبير القرآن الفنى الجميل المعجز الذى يُدنى البعيد القصى ...

ألم يقل : « فإنما يسّرناه بلسانك لتُبشّر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً » وما أدراك ما لدَدُ العرب وجدالهم ! « بل هم قوم خَصِمُون »

ولكن « إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً » وقد أتاهم من القرآن إعصار من البيان كَبَّهم على مَنَاخِرهم وأذقانهم !

عبد المنعم محمد خلاف

البحث العـــلمى

أصوله وآدابه

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

٢ – قوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج

من الصفات اللازمة لنجاح البحاث فى عمله أن يرى بعينه وبصيرته مالا يراه معظم الناس . فالشخص العادى إن أعطيته زهرة نبات لايلاحظ فيها سوى لونها وحجمها ورائحتها . أماالدقق القوى الملاحظة فإنه يرى فيها ما يشغل فكره ويحير لبه . فإن ما رآه داروين وباستير وغيرهم من فطاحل العلماء قد مر بلا شك على نظر الملايين من الخلق قبلهم من غير أن يلاحظوه .

ولما كانت روح التنقيب والاستقصاء وحب الاستطلاع غريزية وقوية جداً فى الأطفال وجب تشجيعها فيهم وذلك بأن يترك لهم المجال للاعتماد على أنفسهم فى حل ما يعترضهم من المسائل فلا يتعدى ما يقدمه إليهم كبارهم الإرشاد فى كيفية استخدام عقولهم وتدريبها فى العمل على كشف أسرار ما يصادفونه من المعميات والصعاب .

على هذه النظرية بنى التعليم الحديث . فالأمم الحديثة الراقية تدرب صغارها لتصبح عقولهم مرنة غير جامدة ، وعيونهم يقظة قوية الملاحظة ، وأذهانهم وقادة سريعة الاستنتاج فيستخلصون النتائج بدقة وإمعان ، فإذا التحق أحدهم بعد إتمام دراسته بعمل ما أو بمعهد من معاهد البحث كان مدربا من يوم نشأته على الاعتماد على نفسه فى معرفة ما يستلزمه عمله أو بحثه من الشروط غير مستعين برئيسه إلا للاستفادة برأيه والاسترشاد بخبرته فى حل المعضلات العويصة

فالتعليم التلقينى وهو الذى يلقن فيه الطالب العلم من أفواه الدرسين وصفحات الكتب دون التدرب على الاعتماد على النفس وقوة الملاحظة والاستنتاج وما يتبعهما من تشغيل الذهن ؛ هذا التعليم نتيجته تخريج شبان ضيقى العقل جامدى الفكر قليلى الاعتماد على أنفسهم فى حل ما يصادفهم من العقبات ، فتراهم فى عملهم حيارى لا يعرفون أين يتجهون فيكثرون من إلقاء الأسئلة على رؤسائهم لمناسبة ولغير مناسبة ، وتجدهم ضعيفى الملاحظة والمشاهدة سريعى الاستنتاج الذى كثيراً ما يكون خطأ . وليس هذا لضعف طبيعى ، بل هو نتيجة لازمة للتعليم التلقينى وصرف عقولهم عن طريق التأمل والتفكير إلى طريق الحفظ . مثل هذا التعليم لايلائم روح العصر الحاضر ولا يمكن بوساطته إخراج رجال يمكن البلاد الاعتماد عليهم فى أعمالها ولا يكون لهم رأى محترم فى دوائر البحث العلمية العالية .

وقوة الملاحظة أو الفراسة صفة وراثية يصعب غرسها فيمن جرد منها . أما من اتصف بهـا فهو أوفق الأشخاص لأعمال البحث ، إذ يمكنه بتهذيب هذه الصفة فى نفسه وتنميتها أن يتمكن من كشف غوامض الأشياء وحل رموزها بأبسط الطرق وأقربها منالا . وهذا ليس بسهل لأن السواد الأعظم من الناس يحاول حل المشكلات بأصعب الطرق وأكثرها تعرجا فيخيبون . ولايفوز بسرعة الحل إلا الذى يتبع الطريق السهل الذى لبساطته وسهولته لا يخطر إلا ببال النوابغ .

٣ – غزارة المادة العلمية

من أوجب الواجبات أن يكون البحاث واسع الاطلاع دائب المذاكرة فى الكتب والمراجع لايفوته علم قديم أو حديث ، وعليه أن يلم بشتى العلوم التى لها صلة بعمله ليستعين بها فى حل معضلات أبحاثه وتعليل نتائجها . ولنضرب لذلك مثلا المشتغل فى البحوث البيولوجية ، فواجبه إن أراد أن يكون من أعلامها أن يلم بأصول اللغات اللاطينية والإغريقيـة نظراً لاستعمال أصولها فى وضع الأسماء العلمية . وعليه أن يجيد علاوة على لغته لغتين أو ثلاثا من اللغات الحية للاستعانة بمراجعها فى بحوثه كما يجب أن يلم بالعلوم الرياضية وأن يعرف الفيزيقا العلمية والنواميس المتصلة بكافة ظواهر الحياة كالجذب السطحى والميوعة وما إليها . ويلم بالكيمياء وعلى الأخص كيمياء الأحياء . وإن تعذر عليه ذلك فليستعن بكيميائى وهذا ضعف .

والواجب على المشتغلين ببحوث أمراض النبات أن يلموا إلماماً تامابكيمياءالموادالعضوية التى يتركب منها قسم النبات العائل وجسم الطفيل المسبب للمرض والذى يفرزها كلاهما . مثل كيمياء النشويات ، والسكريات ، والحلووزات ، والبكتوزات ، والتنينات

والأحماض والالدهيدات وأحماض الأمينو والجلوكوسيدات والأنزيمات والزيوت الطيارة والاسترات وهلم جرا . ومن رأى أكابر العلماء الحديثين فى دراسة علم أمراض النباتات أن بحوث هذا العلم تتوقف فى نجاحها على فهم كيمياء العائل والطفيلى وما يطرأ فى كليهما من التغيرات أثناء ارتباط حياة بعضهما ببعض . لذلك كان أغلب المتخصصين فى البكتريولوجيا حاصلين على درجات فى علم الكيمياء . وواجب الباحث فى أمراض النباتات أن يكون متمكنا من علم الكيمياء غير العضوية لتساعده على البحث فى المبيدات الفطرية ويتحتم عليه أن يحيط بأصول علم الأرصاد الجوية (المتربولوجيا) وعلم الجيولوجيا وفزيقا التربة لما لهذه العلوم من العلاقة التامة بحدوث الأمراض وانتشارها . كما يتحتم عليه الإلمام بعلوم الزولوجيا (علم الحيوان) والحشرات لأن كثيراً من الحيوانات والحشرات الدنيا تنقل الأمراض النباتية وتسببها كأن تحدث أوراما فى جسم النبات تشبه الأورام الباثولوجية ، فمعرفته بالآفات الحشرية تساعده على أن تكون استنتاجاته صحيحة مجدية . وليس لعمل المشتغل ببحوث أمراض النباتات أية قيمة مطلقاً إن كان قاصر المعرفة بعلم النبات ؛ إذ كيف يمكنه دراسة المرض وتأثيره بدون أن يعرف تركيب النبات وتشريحه وتركيب أنسجته فى حالة الصحة وما يطرأ عليها من التغير بسبب المرض وعلى وظائف النبات من الخلل بسبب البيئة ؟ لذلك كان لعلم الفسيولوجيا النباتية المنزلة الأولى فى بحوث أمراض النباتات إذ لا يمكن للباحث أن يعرف أحوال النبات المريض إلا إذا كان ملماً بالكيفية التى يؤدى بها النبات السليم وظائفه . ومن أوجب الواجبات على الباحثين فى أمراض النبات أن يتبحروا فى العلوم الزراعية على اختلافها ، وفى فلاحة البساتين بصفة خاصة .

ونظراً للتشابه الكبير بين الباثولوجيا النباتية والحيوانية كان من المستحسن أن يتصل المشتغلون بالبحث فى هذين العلمين بعضهم البعض زيادة فى الاستفادة .

وما يقال عن الباحثين فى العلوم البيولوجية يقال عن غيرهم من الذين يشتغلون بالبحث فى مختلف العلوم .

٤ — القدرة على تصميم التجارب وتنفيذها واستخلاص النتائج

لا بد للباحث عند وضع نظريته أن يثبتها بسلسلة من التجارب يكررها عدة سنوات ليتأكد من ثبات نتائجها وصحتها ، لذلك يبدأ الباحث فى بناء بحثه بكثرة المشاهدة وجمع البيانات على أساس أحصائى لتتكون عنده فكرة عامة عن موضوع بحثه وتتجمع له المعلومات التى يستعين بها فى وضع منهج تجاربه . وعند تنفيذ تجاربه تظهر له مشاهدات أخرى جديدة قد تدفعه إلى تعديل منهج تجاربه الأول . وهكذا كلما تكونت عنده فكرة جديدة وصادفته مشاهدات جديدة استعان على دحضها أو إثباتها بالتجارب حتى يصل فى النهاية إلى الحقيقة الثابتة الناصعة المبنية على أساس علمى .

فالذى لا يأنس فى نفسه القدرة على اتباع هذا الطريق فى أبحاثه لا يصح أن يقوم بأى عمل من أعمال البحث . وانه لما يؤسف له أن العالم ملىء بالكثير من أصحاب النظريات غير المؤيدة بتجارب عملية صحيحة . وتراهم يفرضون آراءهم على الناس وعلى من ولى أمورهم للأخذ بها فيجدون من يغتر بأقوالهم فيستمع إليهم ويعمل بإرشادهم فلا يظهر دجلهم إلا بعد أن تتكبد البلاد نفقات باهظة ؛ ناهيك بضياع الوقت وإفلات الفرص . وبلادنا تعج بأمثلة كثيرة من هؤلاء فى كل مهنة وفن . والواجب على حديثى العهد بالبحوث العلمية أن يدأبوا على القيام بتجارب متنوعة كثيرة متواصلة واضعين نظرياتهم ونظريات غيرهم موضع الاختبار والدراسة ليستفيدوا ويزدادوا خبرة وعلما .

ومن أهم أركان البحث قدرة الباحث على تفسير مشاهداته واستخلاص نتائج تجاربه . وهذا يستلزم القدرة على ربط النتائج بعضها ببعض للاستنتاج النهائى . وهذا يتطلب الدقة فى الحكم وعدم التسرع فيه لأن الباحث إذا أراد أن تكون بحوثه مصدقة محترمة وجب عليه أن يتثبت من صحة نتائجه وصدق تعبيرها .

والواجب ألا يكتفى من يقوم بأعمال البحث بما حصل عليه غيره من النتائج بل عليه أن يعيد تجارب غيره حتى يحصل بنفسه على نتائج تؤيدها أو تنفيها . كما يجب عليه ألا يكتفى بنتائج تجارب قام بها أحد كبار الباحثين اعتماداً على شهرته . فكل عالم عرضة للخطأ والزلل كأى إنسان آخر . وكم من رجل وصل إلى الشهرة بالأعلان والدجل ودق الطبول ونفخ الأبواق وحرق البخور .

وواجب البحاث أن يصدق كل شىء ليبنى على هذا الشىء تجاربه ؛ وألا يصدق أى شىء حتى يحصل على نتائج تجاربه ؛ وألا يمنعه أى اعتبار مهما كان مقدساً عن البحث فى طبيعة الأشياء .

٥ — القدرة على تدوين النتائج وإعدادها للنشر

لما كانت الكتابة واسطة للتعبير وجب على الباحث إجادتها ليؤدى المعنى بأبسط عبارة . ولذلك ينبغى عليه أن يعرف آداب اللغة التى يكتب بها وقواعدها وأساليبها مع التضلع فى مفرداتها ليسهل عليه التعبير عن نتائجه بطريقة سليمة بسيطة سهلة لا يملها القارئ . فلا يستعمل كلمات لا معنى لها فى موضوع . إذ من أصول الكتابة العلمية أن تؤدى كل كلمة معناها الخاص بها اللازم للتعبير عن غرض الباحث . لذلك يجب عدم تكرار الألفاظ لغرض التنميق والتجميل لأن الغرض من الكتابة العلمية ذكر الحقائق من غير حشو وبأسلوب بعيد عن التجميل المستطاب فى كتب الأدب .

والواجب على الباحث عند نشر بحوثه باللغة العربية أن يراعى قواعدها والكتابة بأساليبها لتبلغ جمله غايتها من غير شطط ، وأن يرجع إلى لغة العرب لانتقاء ما يصلح من ألفاظها للمصطلحات العلمية الحديثة ؛ فإن عجز فلا غبار عليه من تعريب هذه المصطلحات بما يقبله الذوق أو من وضعها بحالها وله قدوة فى ذلك بمن سبقنا من علماء العرب الذين نقلوا كتب الأعاجم إلى العربية

والخلاصة هى أن الباحث يجب أن يراعى فى نشر بحوثه القواعد الآتية : —

١ — أن تكون كتابته واضحة سهلة تؤدى لمن يقرؤها المعنى المقصود .

٢ — أن يكون لكل كلمة وجملة يكتبها معنى يتصل اتصالاً وثيقاً ببحثه .

٣ — أن تكون جمله صغيرة تحمل معنى كبيرا

٤ — أن تكون جمله منطقية الترتيب تترك من يقرؤها مقتنعاً بصحة نتائج بحثه .

ولا حرج على الباحث من نشر ما ينتهى منه من فروع بحثه أولا بأول ولا يمنعه ذلك من الإستمرار فى بحثه حتى تتم أدواره .

٦ — حسن علاقة رؤساء البحوث بمرؤوسيهم

يجب أن يكون المشرفون على البحوث بالنسبة لمرؤوسيهم كالقلب بالنسبة للجسم ينظم حركة عمله . فإذا كان القلب سليماً انتظمت أعمال الجسم ولذلك يجب أن تتوفر فى رئيس البحوث شروط خاصة كنكران الذات والتضحية والتفانى فى المحبة وحسن الخلق والعلم الغزير مع التواضع وحسن توزيع العمل . وأن يعمل على إيجاد الجو الصالح لإدارة البحوث من غير أن يتأثر البحاثون بمؤثرات خارجية تشغل بالهم وتقلق راحتهم فينصرفون عن بحوثهم بمتاعب أنفسهم . لذلك يجب عليه أن يعمل لتأمين مرؤوسيه على مستقبلهم فيضمن لهم العدالة فى الترقية ومكافأة المجد على قدر ما يعود من الفائدة من نتائج بحوثه

ويجب عليه إشراك مرؤوسيه فى مسئولية العمل ليشعروا بقيمتهم فى الهيئة الإجتماعية والعلمية ، وبأنهم يؤدون عملاهم أصحاب الفضل فى إنجازه ، وألا يجعلهم يشعرون بأنهم آلات تعمل لمصلحته ورفعتــه فإن فعل ذلك فإنه يدل على ضعة فى النفس لا يكسب منها سوى حقد مرؤوسيه عليه واحتقارهم له وإهمالهم فى العمل ، بل والى الغش الذى يسئ إلى سمعة المعهد خاصة والبلاد عامة . لذلك يجب على رئيس البحوث أن يكون لمرؤوسيه بمثابة الأستاذ للطلبة ، له فضل تدريبهم وتعليمهم وإرشادهم ، ولهم نتيجة دراساتهم وبحوثهم يجنون ثمارها فإنه ليس أدعى إلى بذر بذور الحقد والكراهية فى مكامن النفوس بين الرئيس ومرؤوسيه من شعورهم بمحاولته غمط حقوقهم المكتسبة بكدهم وحسن عملهم .

ومن دواعى فخر الرئيس العاقل أن يرى مساعديه ينشأون بين يديه صغاراً كالأطفال ثم ينمون ويترعرعون بفضل تعهده لهم وعنايته بهم إلى أن يصبحوا رجالاً مسئولين ذوى آراء محترمة وعمل نافع .

وعلى المرؤوسين واجبات مقدسة نحو رئيسهم ، فعليهم أن يعتبروه كالأب يسرون إليه بأخطائهم فيجدونه واسع الصدر صادق الحكم والرأى ، حليماً فى إرشادهم إلى الصواب ، ويجب عليهم أن لا ينسوا أنه صاحب الفضل فى تمرينهم وتدريبهم إلى أن وصلوا إلى الحالة التى مكنتهم من الاستقلال بعملهم .

* * *

هذا هو دستور البحث وأصوله وقواعده إذا توفر فى أمة ضمنت نجاحها وتأهلت مكاناً لائقا بين الأمم الراقية . فهل نحن عاملون به فى مصر . هذا موضوع سنتكلم عنه فى فرصة قادمة إن شاء الله .

دكتور محمد مأمون عبد السلام

من أساليب التفكير

التبرير الجدلى

للأستاذ زكريا إبرهيم

« للكاتب الأمريكى جيمز هارفى روبنسون رسالة قيمة عرض فيها لأساليب التفكير المختلفة ، مبيناً الدور الذى يؤديه كل فى تكوين الحضارة الانسانية . ونحن نعرض فى هذا المقال لواحد من تلك الاساليب محاولين أن نكشف عن الاصل فيه ، على ضوء علم النفس الحديث »

من أساليب التفكير المتنوعة أسلوب يطلق عليه علماء النفس المحدثون اسم « التبرير العقلى » أو الجدلى . والأصل فى هذا الضرب من التفكير أن يعرض أحد لمناقشة عقائدنا وآرائنا ؛ فاننا عندئذ نعمد إلى تبرير هذه الآراء والمعتقدات بأدلة عقلية نصطنعها من أجل مواصلة الاعتقاد بتلك الآراء . وقد يحدث أحياناً أن نغير آراءنا وأفكارنا دون أن يكون ثمة مؤثر خارجى ، ولكن إذا حاول أحد أن يثبت لنا خطأنا ، فإننا نزداد تمسكا بهذه الآراء التى ننادى بها ونمعن فى التعصب لها والتعلق بها . ونحن فى العادة متسرعون فى تكوين آرائنا ومعتقداتنا ، ولكننا نجد أنفسنا حريصين على هذه الآراء والمعتقدات ، حينما يحاول أحد أن ينتقص من قيمتها ، أو أن يشككنا فى صحتها . ومن الواضح أن الأفكار نفسها ليست هى الشىء العزيز علينا ، وإنما هو تقديرنا لذواتنا وحرصنا على كرامتنا الشخصية . فإذا كنا نميل بطبيعتنا إلى أن نتعصب لشخصنا وأسرتنا ومجتمعنا ومعتقدنا ، فما ذلك إلا لأن فى هذا ذوداً عن كرامتنا الشخصية . وقد تشتد الهجمات الموجهة إلى عقائدنا وأفكارنا ، فنضطر إلى التسليم ، ولكن يندر أن نعترف بالهزيمة « فالسلم — فى العالم العقلى على الأقل — يجىء دائماً بغير نصر حاسم »

وقلما يكلف الناس أنفسهم عناء البحث عن الأصل فى معتقداتهم التى يحرصون عليها ويتمسكون بها ، فإن الحقيقة أننا ننفر بطبيعتنا من القيام بهذا العمل . . إننا نحب أن نثبت على العقيدة التى اعتدنا أن نسلم بأنها هى الحق ؛ فإذا ما أثير حولها الشك ، رحنا نبحث هنا وهناك عن حجج معقولة تبرر مواصلتنا التمسك بها ، ولهذا فإن الجانب الأكبر مما نطلق عليه اسم «الاستدلال» أو التفكير المنطقى ، ينحصر فى البحث عن حجج وأدلة تبرر ثباتنا على المبادئ التى اعتدنا أن نسلم بصحتها

أما الأسباب « الحقيقية » لمعتقداتنا وآرائنا ، فهى فى الحقيقة خافية عنا ، كما هى خافية عن غيرنا ، والذى يحدث فى واقع الأمر هو أننا نشب على الآراء التى وجدنا مجتمعنا يأخذ بها . ونحن نتشرب هذه الآراء من البيئة التى نعيش فيها عن طريق لاشعورى ؛ فالجماعة التى نحيا بين ظهرانيها هى التى تهمس فى آذاننا دائماً أبداً بهذه الآراء والمعتقدات . ولما كانت هذه الآراء أو الأحكام وليدة الإيحاء ، (لا التفكير المنطقى) ، فإنها تبدو واضحة تمام الوضوح ، حتى أن أى ظل من الشك يلقى حولها ، يثير فى الناس الدهشة والاستغراب . والواقع أننا إذا حاولنا أن نناقش رأياً من الآراء فوجدنا أنفسنا بإزاء فكرة تبدو واضحة بينة حتى أن مجرد التعرض لمناقشتها يعتبر فى نظر الناس عملا غير مرغوب فيه ، فإن هذا الرأى لا بد أن يكون عبارة عن فكرة تتنافى مع العقل ، وبالتالى لا تستند إلى حقيقة ثابتة بينة .

أما الآراء التى هى وليدة الخبرة والتجربة ، أو التفكير الصائب النزيه ، فهى — على العكس من ذلك — لا تتصف بهذا « اليقين الأولى » Primary certitude . وفى هذا الصدد يروى روبنسون أنه حينما كان حدثاً صغير السن ، سمع جماعة من الناس يتناقشون فى مسألة خلود النفس ، فاستثاره الشك الذى أظهره بعضهم حول هذه الحقيقة . وهو يردف ذلك بقوله إنه حينما يعود اليوم ببصره إلى الوراء ، فإنه يرى بوضوح أنه لم يكن معنياً بذلك الموضوع فى ذلك الحين ، بل أنه يقيناً لم يكن يعرف دليلا واحداً صحيحاً يثبت به هذا المعتقد الذى يتعصب له . ولكن على الرغم من أنه لم يكن معنياً بالموضوع من قبل ، وعلى الرغم من أنه لم يكن له عهد بالبحث فى مثل هذه المسائل ، فإنه مع ذلك لم يتردد فى أن يظهر غضبه واستياءه حينما وجد آراءه ومعتقداته توضع موضع البحث والمناقشة .

وهذا التأييد التلقائى spontaneous لآرائنا السابقة وأفكارنا المبتسرة ؛ أو بعبارة أخرى هذا البحث عن الأدلة « المعقولة » التى تبرر معتقداتنا المألوفة وآراءنا التقليدية ، هو ما يعرف عند علماء النفس المحدثين باسم « التبرير الجدلى » rationalizing ؛ وهو بلا ريب ليس سوى اسم جديد لشىء قديم

جداً . وهذه الأدلة « المعقولة » هي بطبيعة الحال وليدة التفضيل الشخصي والأحكام السابقة ، فهي إذن لا تمت بصلة إلى الرغبة الصادقة في البحث عن معرفه جديدة أو في التسليم بحقائق جديدة

وإذا نظرنا الآن إلى أحلام يقظتنا Reveries وجدنا أننا كثيراً ما نشغل أنفسنا فيها بتبرير ذواتنا . ومن الواضح أن السبب في ذلك هو أننا لا نستطيع أن نحتمل الشعور بأننا مخطئون على الرغم من أن الأدلة كلها قائمة على ضعفنا وكثرة أخطائنا . وتبعاً لذلك فإننا نضيع وقتاً كبيراً في البحث عن ظروف خارجية نرجع اليها أخطاءنا مثل سوء الحظ وانعدام التوفيق وعدم مواتاة الظروف لنا ، ونجتهد في أن نُسقط على الآخرين (وكثيراً ما يكون ذلك بمهارة فائقة) أسباب سقوطنا وخيبتنا . فالتبرير الجدلي إذن هو عبارة عن تبرئة النفس حينما يتهمنا الناس (أو يتهمون جماعتنا) بالخطأ أو سوء الفهم .

وليس من شك في أن حبنا لذواتنا ، إنما هو العامل الخفي الذي يكمن من وراء كل تبرير جدلي . فهذا الضمير الذي نعبر عنه بحرف الياء (ي) هو في الحقيقة جوهر الحياة الإنسانية ؛ هو حرف صغير لا يضيره أن تلحقه بأي لفظ كائناً ما كان ، لأنه لا يفقد قيمته على أي حال ، يستوي في ذلك أن تقول بيتي ، عقيدتي ، بلادي ، إلهي … إلخ . فنحن لا نغضب فقط حينما يخبرنا أحد بأن ساعتنا غير مضبوطة ، أو أن سيارتنا ليست جيدة ، وإنما نغضب أيضاً إذا قال لنا أحد إن نطقنا لاسم « ابكتاتوس » غير صحيح ، أو إن رأينا عن تاريخ سارجون الأول بعيد عن الصواب .

وهذا الشعور نفسه كثيراً ما نجده عند الفلاسفة والعلماء أنفسهم إذا كانوا بصدد مسألة يدخل فيها حبهم لذواتهم amour propre فإن كثيرا من المؤلفات الجدلية ، لم تكتب إلا لمواجهة خصومة أدبية — وعلى الرغم من أن بعض هذه المؤلفات قد ينطوي على استدلالات تبدو سليمة لا غبار عليها ، فإنه من المحتمل أن تكون هذه الاستدلالات مجرد تبريرات جدلية ترجع في نهاية الأمر إلى بواعث نفسية . وإذن فإن من الممكن أن يُكتب تاريخ الفلسفة واللاهوت في عبارات الكبرياء المجروحة ، والخصومات المذهبية ، وضروب العداء المستحكمة بين الطوائف ويكون على هذه الصورة أصدق تعبيرا مما لو كُتب على الطريقة المألوفة . وإننا لنعرف أن ملتون قد كتب مبحثه عن الطلاق نتيجة للمتاعب الكثيرة التي لاقاها بعد زواجه من تلك الفتاة التي كانت تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً . وكذلك نعرف أيضاً أنه لم يكتب كتابه المشهور المعروف باسم : Areopagitica إلا حينما اتهم بأنه رائد مذهب جديد هو مذهب المُطلّقين ؛ فكتب كتابه هذا لكي يثبت أن من حقه أن يقول ما يعتقد أنه الصواب ؛ وبالتالي لكي يثبت حرية الصحافة والتأليف في إعلان الحق .

واليوم ، تتردد لدى بعض الكتاب والمفكرين فكرة مؤداها أنه من المحتمل أن تكون كل معارفنا التي حصلناها ، في علم الاجتماع ، أو في الاقتصاد السياسي ، أو في الأخلاق ، إبان الأجيال الماضية ، مجرد تبريرات عقلية قد يطرحها الجيل المقبل . وقد وصل المفكر الأمريكي جون ديوي بالفعل إلى هذه النتيجة فيما يتعلق بالفلسفة ؛ واستطاع فبلن Veplen وغيره من المؤلفين أن يكشفوا عما في الاقتصاد السياسي التقليدي من آراء مبتسرة وافتراضات غير مدركة . واليوم يأتي عالم اجتماعي ايطالي يدعى «ڤلفريدو باريتو» Vilfrido في كتاب ضخم له عن الاجتماع العام ، فيكرس مئات الصفحات ، لكي يثبت هذه القضية العامة فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية جميعا . وهذه النتيجة التي توصل إليها ، قد تعتبر في نظر الأجيال المقبلة إحدى المكتشفات العظمى لعصرنا الحديث . وليس بدعاً أن يكون ذلك كذلك ، فإن الحقيقة أنه كما كانت علوم الطبيعة المختلفة قبل بداية القرن السابع عشر مجرد ضروب مختلفة من التبريرات العقلية Rationalizations التي تتفق مع المعتقدات الدينية السائدة ، فكذلك العلوم الاجتماعية أيضا قد بقيت — حتى إلى يومنا هذا — مجرد تبريرات عقلية تتفق مع العوائد والعقائد المتقبلة بغير نقد أو تمحيص .

* * *

من هذا كله يظهر لنا أنه إذا كنا بصدد فكرة قديمة يسلم بها الناس أجمعون ، فإن هذا لا يمكن أن ينهض دليلا على صحة هذه الفكرة ، بل هو — على العكس من ذلك — أدنى إلى أن يكون دليلا على أنه من الواجب أن نفحص هذه الفكرة بعناية ، على أنها مثال محتمل للتبرير الجدلي .

زكريا ابراهيم
مدرس بمدرسة السويس الثانوية
« مصر الجديدة »

التعليم ووحدة الأمة

— ٥ —

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

يسرنا أن نشهد في هذه الأيام شيئاً من الاهتمام بمسائل التعليم وإصلاحه فقد رأينا نقاشاً يتردد بين بعض رجال التعليم في الجرائد والصحف الأسبوعية مما يدل على هذا الاهتمام وعلى أن وزارة المعارف ترحب بالآراء الجديدة التي تتناول المشاكل التعليمية وتعمل لإنماء روح البحث والاجتهاد في هذا الموضوع الجليل الشأن. غير أني أرجو أن يتحول البحث إلى المسائل التي في الصميم والتي تتغلغل في روح المدرسة وروح النهضة التعليمية التي تنشدها البلاد.

فالبحث الذي دار فيه النقاش والجدل أخيراً كان خاصاً بزيادة مرحلة وسطى بين مرحلتي التعليم العام. والتعليم العام سواء اشتمل على مرحلتين أو ثلاث مراحل هو في حاجة ماسة إلى إصلاح أهم وأعم لا يتناول مراحله فحسب، بل يتناول نظمه ويتناول روحه حتى نحصل منه على الثمار المرجوة. ولقد تناول صديقنا الأستاذ فريد أبو حديد إحدى مسائله الهامة في العدد ٣٣٣ من الثقافة. تناول مسألة المعلم فطالب وزارة المعارف إذا شاءت أن تعد البلاد للمستقبل الذي تنشده أمم العالم جميعاً أن تتجه اتجاهاً جدياً إلى المعلم، وطالب الدولة كلها بأن تعين وزارة المعارف على ذلك وأن تحلها من كل قيد وأن تبذل لها من عنايتها ما يمكنها من أن تجعل المعلم روحاً حياً يبعث الحركة في ناشئة البلاد. وهذا مطلب لا نشك في أهميته ولا في عدالته ولا في ضرورته للنهضة التعليمية. ولقد سبق أن طالبنا الأمة به في مواقف كثيرة، وسبق أن أوضحنا ما للمعلم من أثر فعال في تكوين أبنائه وفي بناء نهضة هذه البلاد، وأنه هو العامل الحي الذي يبث الحياة في النشء ويبصرهم بأمور الدنيا ويفتح عيونهم على ما يجري حولهم في الحياة. وهو القدوة الحية أمامهم يحاكونه في أعمالهم ويتخذونه مثلا أعلى لهم ويقلدونه في حركاتهم وسكناتهم ويلجأون إليه في معضلاتهم. وإذا كنا نشكو اليوم ما في المدرسة من جمود وخمود وما في تلاميذها من استهتار وقلة تبصر وعدم اهتمام بمسائل الحياة وعدم إقدام خريجيها على العمل الحر المنتج فإنما يرجع الكثير من ذلك إلى خمود روح المعلم وجموده، وإلى سيره في حياته التعليمية على طريقة أوتوماتيكية خالية من البحث والتفكير والابتكار. وله العذر في ذلك لأن الحالة القائمة بين جدران المدارس وفي تقدير كفايات المدرسين وأعمالهم لا تشجع مع الأسف على شيء من ذلك. فعلم اليوم مكبل بقيود ونظم وتقاليد لا تسمح له بالتفكير في مستقبل تلاميذه إلا في دائرة محدودة جداً هي دائرة المنهج المقرر وعدم الخروج عنه لأي سبب من الأسباب، والعمل على إنهاء دراسته في المدة المحددة له حتى يستطيع طلابه اجتياز الامتحان. وهذا هو كل ما هو مسئول عنه. فهو بذلك معذور حقاً إذا لم يحاول أي عمل أكثر من إلقائه الدرس المليء بالمعلومات التي لا تمت إلى الحياة بصلة في الغالب مكرراً على أسماع تلاميذه برغم أنوفهم تلك المعلومات التي لا تثير ميولهم ولا غرائزهم ولا تثير فيه هو ميلا إلى البحث والتفكير؛ لأن ما ذكره في الأعوام الماضية يجيء فيكرره في عامه الحاضر دون تنويع أو تحوير ما دامت الطريقة التي اتبعها من قبل قد أرضت المفتش والناظر وأدت إلى نجاح معظم تلاميذه في الامتحان. هو معذور إذا لم يعمل عملا ما لتحسين حال تلاميذه من الوجهتين الصحية والخلقية لأن المدرسة لا يعنيها ذلك. وهو معذور إذا لم يحاول أن يعرف تلاميذه شيئاً عن الحياة وما يحيط بهم منها وما يتعلق بها داخل المدرسة وخارجها، لأنه إن فعل ذلك أجهد نفسه فيما لا يقدره أحد ولا يشجعه أحد؛ ويجد نفسه قد أضاع جزءاً من الوقت الثمين المخصص لإنهاء المنهج الذي لا يقدر رؤساؤه غيره، فلابد له من ملء الأدمغة وحشوها بكل ما جاء فيه مهما كان نوعه ومهما كانت قيمته بالنسبة إلى ميول التلاميذ. وما عليه من بأس مادام قد خلق المنهج في أدمغة التلاميذ سواء أعرفوا شيئاً عن الحياة بعد ذلك أم لم يعرفوا. ثم هو معذور إذا لم يعرف شيئاً عما يجري في مختلف البلاد المتحضرة من آراء حديثة وأفكار جديدة في التربية والتعليم لأنه لا يتابع قراءة شيء عن ذلك. ولعل أكثر من تسعين في المائة من المعلمين لم يقرأوا شيئاً من مقالاتي هذه لما

يستشعرونه من رؤسائهم من عـدم اهتمام أو عدم تقدير لكل تفكير جديد . ثم نحن محاطون بكثير من المدارس الأجنبية المنتشرة فى البلاد التى تتبع طرقا فى التعليم غير طريقتنا . فمن يا ترى من رجالنا فكر فى الاتصال بها ومعرفة شيء مما يجرى بين جدرانها ! فالمعلم المسكين لا يفتح عينيه إلا على تلاميذه ومنهجه ودرسه ! ثم هو معذور إذا لم يتعاون مع زملائه التعاون الضرورى لرفع مستوى التعليم فى معهده وتكوين الجماعات التعاونية بين طلابه ؛ لأنه مشغول بنفسه وبالدفاع عن قضية عيشه فى أوساط تكلفه أكثر مما يطيق وتغمط حقه فى الحياة ولا تقدر مسئولياته فيها ؛ ولأنه مشغول بالكر والفر بين زملاء يتنافر الكثيرون منهم معه فى الثقافة والتكوين ولا يتفقون معه فى الآراء ولا ينسجمون معه فى العاطفة والروح بطبيعة اختلاف ثقافاتهم باختلاف المعاهـد التى نشأوا فيها .

لذلك نكلف المعلم شططا إذا نحن طالبنـاه بالخروج عن جموده إلى العمل الجدى والنهوض بتلاميذه ومدرسـته ، لأنه مقيـــد بقيود تقف حجر عثرة فى سبيله بعضها يرجع إلى البيئة المحيطة به وبعضهـا يرجع إلى التصرفات التى تجرى فى محيطه التعليمى . فهو غالبا لم يدخل مهنة التعليم لحبه لها وشغفه بها كما يدخل غيره فى باقى المهن . ومعنى ذلك أنه مسوق إلى العمل فى مهنته برغم ميوله وإرادته . ولقد أثبت صحة هذا الرأى من زمن بعيد الخبير الفنى المسيو كلاپاريد فى تقريره عن حالة التعليم فى مصر تحت عنوان « النزعة البيداجوجية » إذ لاحظ أنه من بين الـ ٦٩ طالبا بمدرسة المعلمين العليـا الذين وجهت إليهم أسئلة عن سبب اختيارهم لمهنة التعليم لم يختر منهم هذه المهنة بدافع الميل غير ٣١ طالبا أى أقل من النصف ؛ وأن كثيرين منهم التحقوا بهذا المعهد لأن معـاهد أخرى رفضت قبولهم . ومعنى ذلك أن عدداً ليس بالقليل من المشتغلين فعلا بالمهنة البيداجوجية لا تتوفر فيهم النزعة الغريزية إليها . فاذا كانت هذه هى الحالة فى مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٩ قبل إلغائها فإن الحالة لا زالت هى هى فى معهـــد التربية الذى أنشىء على انقاضها وفى دار العلوم وفى معاهد المعلمين والمعلمات التى امتلأت بالفتيان والفتيات لا رغبة فى مهنة التعليم وحبا فيها بل رغبة فى كسب العيش عن طريقهـا . ولذلك فانا لا نجد فى خريجى هذه المعاهد من القائمين بأمر التعليم الآن إلا أناساً مسوقين بحكم وظائفهم مجبرين على العمل الذين يقومون به لا محبين فيه . ويزيد نفورهم من المهنة ما يقاسون فيهـا من عناء وكد واجحاف بالحقوق بالنسبة لأقرانهم وزملائهم فى المهن الأخرى . وما يقاسون فيها من تنافس وتنافر غير مشروع بينهم يظهر من آن لآن بسبب النزعات والثقافات المختلفة . ولذلك فإنا مقتنعون بأن الحجر الأساسى فى بناء نهضـة التعليم فى مصر ينحصر فى تشويق الشباب إلى المهنة وتحبيبهم فيها بما يجب أن يوجد فيها من مغريات ومشجعات لا أثر لها فيها اليوم ، كما ينحصر فى العمل الجدى على توحيد ثقافات المعلمين بضم معاهدهم المتنافرة المتناحرة بعضها إلى بعض فى معهد واحد ليكون الجميع يدا واحدة متناصرين متعاونين متجهين جميعـا الاتجاه الصحيح فى تفكيرهم وبحوثهم وعملهم فى سبيل وحدة الأمة المنشودة. وإنه لن يتم للبلاد ما ينادى به الزعيم الوطنى الكبير على ماهر باشا فى أن يتحـد أبناؤها اتحاداً شاملا حرا وأن يكون هذا الاتحاد اتحادا فى القرية واتحادا فى الإقليم واتحادا فى عاصمة البلاد كما ذكر رفعته فى حديثه لمراسل جريدة الأهرام بتاريخ ١١ مايو سـنة ١٩٤٥ ؛ أقول لن تتم لنا تلك الوحدة العزيزة المنشودة إلا إذا وضعنا أساسها بين معاهـد تخريج المعلمين من اليوم ليكون المعلمون على مر الزمان دعاة تلك الوحدة وأنصارها والقابضـــين على زمامها فى القرية والمدينة والعاصمة . ولتكون المدرسة نواة الإصلاح الحق فى بناء تلك الوحدة وتدعيمها كما هو الحال عند غيرنا من الأمم التى سبقتنا فى مضمار الحياة الحرة الكريمة . وإنا لنغتبط كل الاغتباط بما جاء فى سياق حديث رفعته المتمتع من حماس للوحدة القومية إذ قال : « وما دام الحق واحدا لا يتعدد فالوحدة القوميـة التى فيها إنقاذ شرف الأمة يجب أن تكتسح كل من يقف فى سبيلها » .

لهذا نأمل أن يعمل العاملون فى بناء هـذه الوحدة فوراً على وضع أساسها وتدعيم جدرانها بتوحيد معاهـد المعلمين وتوحيد ثقافاتهم حتى يبنى البناء الشامخ على أساس وطيد سليم لا تزعزعه العواصف بل لا تزيده إلا تماسكا وقوة وعزة ورفعة .

عبد الحميد فهمى مطر

رسالة الفن

٥ ـ الفــــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل
بقلم الدكتور محمد بهجت

الحركة في الفن

يوجد بمتحف اللوفر تمثالان لرودان يتنازعانني ويؤثران فيّ بوجه خاص، هما: « العصر الحديدى » « ويوحنا المعمدان » . ويخيل إليّ أنهما أكثر حياة من غيرهما — إذا صح هذا التعبير . حقيقة أن كل تماثيل « رودان » الأخرى تنبض بالحياة ، وتتنفس ويُحس منها ما يحس من اللحم الحقيقى إلا أن هذين التمثالين يتحركان !

كاشفت رودان بولعى الخاص بهذين التمثالين ذات يوم وأنا جالس بمرسمه بميدون فما كان منه إلا أن أجابنى :

إنهما حقاً من تلك التماثيل التى أبرزت فيهما الفن التقليدى إلى أبعد حدوده ، مع أنى صنعت غيرهما - كثيراً مما لا يقل عنهما حركة وحياة ، أذكر منها على سبيل المثال « رهائن كالية » « وبلزاك » « والرجل الذى يمشى » . وحتى فى أشغالى التى لا يظهر عليها النشاط حرصت دائماً على أن أطبعها بطابع الحركة . ولم أصنع قطعاً وادعة ساكنة إلا فيما ندر . ولقد حاولت دائماً أن أعبر عن الأحاسيس الداخلية بحركات العضلات . وهذا صحيح حتى فى تماثيلى النصفية التى أجعلها تميل أو تنحرف انحرافاً خاصاً أو تأخذ وضعاً معيناً يجعلها تنم عن خلجة من خلجات النفس .

لا يمكن الفن أن يعيش بغير حياة . فإذا ما أراد مثّال أن يعبر عن السرور أو الحزن مثلاً أو عن أية عاطفة كانت فإنه لا يستطيع تحريك مشاعرنا من غير أن يعلم بادئ ذى بدء كيف يبث الحياة فيما يسوى من الأجسام . وإلا فكيف يؤثر فينا السرور أو الحزن المرتسم على شيء جامد كقطعة من الصخر الأصم مثلاً ؟

ويمكننا الحصول على مخايل الحياة فى أعمالنا عن طريق التمثيل الجيد والحركة . هاتان الصفتان هما بمثابة الدم والروح لكل عمل جيد » . وهنا قلت له :

أيها المعلم ! لقد حدثتنى عن التمثيل فأصبحت قادراً على تذوق روائع الفن أكثر من ذى قبل ، فاسمح لى الآن أن أوجه إليك بعض أسئلة عن الحركة التى أراها لا تقل أهمية عنه . عند ما أحدق فى تمثالك المسمى « العصر الحديدى » الذى ينهض ويملأ رئتيه هواء ويرفع ذراعيه عالياً ، أو فى تمثال « يوحنا المعمدان » الذى يخيل إلى الرائى أنه يهم بمغادرة قاعدته التى يقف عليها ويضرب فى أنحاء الأرض مبشراً برسالته بكلمات من الهدى ، يعرونى مزيج من الإعجاب والدهش . ويخيل إليّ أن هناك سحراً فى ذلك الفن الذى يهب مادة الشبه حركة . ولقد درست روائع أخرى لأسلافك العظماء أذكر منها تمثال المارشال (ناى) «Ney» والمارسليز ، وكلاهما من عمل (رود) «Rude» ثم الرقص من عمل (كاربو) « Carpcaux » وكذلك حيوانات (بارى) «Barye» الوحشية الكاسرة ، ولا يسعنى إلا الاعتراف بأنى ماوجدت إلى اليوم تفسيراً مقنعاً للتأثير العميق التى تحدثه تلك التماثيل فى نفسى . وما زلت أسائلها كيف يمكن أن تؤثر فينا كتل صماء من الحجارة أو الحديد ؟ وكيف تبدو بعض التماثيل كأنها تعمل ، بل وكأنها فى حركة عنيفة بينما هى فى الواقع ساكنة لا حراك بها ؟ »

فأجابنى رودان : « أما وقد جعلتنى فى عداد السحرة فسأحاول جهدى أن أحمى سمعتى ، وذلك بأن أقوم بواجب هو أصعب بكثير من نفخ الحياة فى الشبه أو الحجر ، ألا وهو أن أشرح لك كيف يتسنى ذلك

لاحظ أولا أن الحركة هى الانتقال من وضع معين إلى وضع آخر . والحق يقال إن هذا التعريف الذى يكتنفه الصدق هو مفتاح السر . ولا ريب أنك قرأت فى أوفيد كيف استحالت (دافنى) «Daphne» إلى شجرة الغار ، و (بروني) Progne إلى عصفور السنونو . يرينا هذا الاديب الساحر أن الأولى اتخذت من قشور الأعواد ومن الأوراق غطاء بينما ادثرت الأخرى بالريش حتى لنستطيع أن نرى فى كل منهما المرأة التى استحالت والشجرة أو الطير التى سوف تنقلب إليهما . وأظنك تذكر أيضاً أن دانتى يصور لنا فى جحيمه حية تلتف حول جسد أحد اللاعبين فتنقلب رجلا ، وينقلب الرجل بدوره حية تسعى . يصف لنا الشاعر العظيم هذا المنظر بجلاء تام وعبقرية فذة بحيث يستطيع المرء أن يتابع فى كل من هذين المخلوقين الصراع الدائم بين طبقتين تصطرعان لتسود إحداهما الأخرى .

وقصارى القول يمكن المصور أو المثال عمل هذا الضرب من التطور والتبدل أن يهب المخلوقات التي يبتكرها الحركة والحياة بأن يمثل التحول من وضع إلى آخر، ويظهر كيف يتصل الأول بالثاني ويمحى فيه بشكل غير محسوس ... ويجب أن نرى في عمله بعضاً مما وقع أو مما كان، ونستبين طرفا مما سيكون. ولأضرب مثلا يوضح لك الأمر أكثر من ذلك:

« لقد ذكرت منذ هنيهة تمثال المارشال ناي الذي صنعه رود فهل تستوعبه بوضوح؟ » فأجبته:

« نعم » إن البطل يشهر سيفه ويصيح في جنوده بأعلى صوته: إلى الأمام » .



تمثال المارشال ناي — (صنع المثال رود)

« تمام! حسن! عندما تمر بهذا التمثال مرة أخرى تأمله بدقة أوفى فتلاحظ إذ ذاك أن رجلي التمثال واليد اليسرى التي تقبض على غمد الحسام ثبتت على الحالة التي كانت عليها عند ما استل السيف من قرابه. أما الرجل اليسرى فقد انسحبت قليلا إلى الوراء لكي يسهل إمساك السيف باليد اليمنى التي استلته منذ هنيهة. وأما اليد اليسرى فثابتة في الهواء ممسكة بالغمد كأنها ما زالت تقدم الغمد.

ولندرس الجسم الآن؛ كان يجب أن يكون مائلا قليلا إلى اليسار في اللحظة التي أتى فيها بالحركة التي وصفت آنفاً. ولكنه هنا منتصب، والصدر بارز إلى الأمام، والرأس يدور نحو الجنود وقد دوى منه الأمر بالهجوم. وأخيرا ترى الذراع اليمنى مرتفعة وقد شرعت الحسام. فها أنت ترى في كل ذلك إثباتا لما قلته لك آنفاً.

فالحركة في هذا التمثال إلا تغيير من وضع أولى — هو الذي كان عليه المارشال عند ما استل سيفه — إلى وضع ثانوى هو عند ما رفع ذراعه وشرع في الاندفاع صوب العدو ... وفي هذا كل السر في الحركة كما يفسرها الفن. فعلى المثال إذا أن يلزم المشاهد بتتبع تطورات حركة ما في فرد معين. ونرى في المثل الذي استشهدنا به أن العينين تلتزمان التنقل من الأطراف السفلى إلى العليا حتى الذراع المرفوعة، فتريان أثناء ذلك التنقل أجزاء الجسم ممثلة في فترات متتابعة رتتوهمان بأن الحركة تمت » .

وقد اتفق وجود صبيتين [1] لتمثالي « العصر الحديدي » « ويوحنا المعمدان » في البهو الكبير حيث كنا، فسألني رودان أن أنظر إليهما ففعلت، وأدركت صدق قوله للتو واللحظة. لاحظت في التمثال الأول أن الحركة تصاعدية كما في تمثال ناي. فالشاب غير كامل النهضة، فساقاه متخاذلتان، تميدان من تحته، فاذا ما صعدت عيناك فيه قليلا وجدت الوقفة أصلب، والأضالع بارزة من تحت الجلد، والصدر يتمدد وينهد، والوجه يواجه السماء، والذراعين ممدودتين كمن يحاول أن ينفض عنه خموله. أما موضوع هذا التمثال فيلخص في التخلص من حالة الركود والجمود إلى حالة النشاط في الإنسان الذي يتحفز للعمل.

وفضلا عن ذلك فإن تلك الحركة البطيئة التي تدل على الاستيقاظ والنهوض لتظهر أروع مما هي عليه عندما يدرك المرء مغزاها. فهي تمثل — كما يدل على ذلك اسم القطعة — أول خفقة من الإدراك والتميز في إنسانية لا زالت في مدارجها الأولى وأول

(١) اخترت كلمة صبية للفظة الانجليزية Cast وهي ما يصب في قالب على نحو السبكة للمعدن المذوب الذي يفرغ في قالب.

انتصار للعقل على وحشية العصور السابقة للتاريخ .

ثم درست بعد ذلك تمثال يوحنا المعمدان على الوتيرة السابقة ، فرأيت أن انسجام هذا الجسم أدى إلى تطور من حالة إلى حالة أخرى كما قال رودان . فأولا يتكىء الجسم بكل ثقله على القدم اليسرى التي تضغط على الأرض بكل قوتها . ويبدو كأنه يتذبذب في ذلك الوضع هنيهة بينما تنظر العينان صوب اليمين . وبعد ذلك ترى الجسم كله يتجه في هذا الاتجاه ثم تخطو الرجل اليمنى وترتكز قدمها على الأرض . وفي تلك اللحظة يظهر الكتف الأيسر المرتفع كما لو كان يلقى بثقل الجسم إلى هذا الوضع الجديد كما يعين القدم اليسرى الخلفية على الخطو إلى الأمام . والآن ، لم يخرج علم الفنان عن أنه يضع تلك الحقائق نصب عين الرائي على النحو الذي ذكرته حتى يكون من تعاقبها وتتابعها ما يشعر بالحركة .



تمثال يوحنا المعمدان — (صنع رودان)

وفضلا عن هذا أيضاً فإن لحركة « يوحنا المعمدان » دلالة روحية كتلك التي لتمثال « العصر الحديدي » . فالنبي يتحرك حركة آلية كلها جلال ووقار حتى لتتوهم أنك تسمع وقع أقدامه مثلما تتوهم ذلك عند ما تشاهد تمثال « القائد » تحس منه كأن قوة خفية كامنة تهيمن عليه وتسيره . وعلى هذا ترى أنه بينما تبدو لنا حركة المشي عادية صرفة تراها هنا جليلة لأنها في سبيل رسالة مقدسة . وهنا سألني رودان فجأة :

— « هل سبق لك أن عاينت بإمعان صورا فوتوغرافيه لأشخاص تمشي ؟ » . ولما أجبته بالإيجاب قال « حسن . ماذا لاحظت عليها . »

— « لاحظت أنها ثابتة في أماكنها لا تتقدم ، وتبدو على العموم كأنها ترتكز على ساق واحدة ، في غير ماحراك ، أو أنها تحجل على قدم واحدة » .

— تمام ! ولأضرب لك الآن مثلاً تمثالي (يوحنا المعمدان) ، الذي ترى قدميه مرتكزتين على الأرض . فإذا ما أخذت صورة فوتوغرافية لمثال حي يمشي مشيته فلربما ظهرت قدمه الخلفية مرتفعة تلاحق القدم الأخرى ؛ أو على النقيض من ذلك قد لا تكون القدم الأمامية على الأرض إذا ما شغلت الرجل الخلفية في الصورة الفوتوغرافيه نفس الوضع الذي تشغله من التمثال .

ولهذا السبب عينه قد يبدو مظهر هذا المثال الفوتوغرافي غريبا كما لو كان رجلا فاجأه الفالج وتحجر في موضعه ، كما وقع في القصة الخرافية البديعة لخدام « الجمال النائم » الذين مسخوا وسمروا في مكانهم على حالهم التي كانوا عليها . وهذا أيضا يدعم ما شرحته لك من هنيهة بخصوص الحركة في الفن . وفي الواقع أنه إذا ظهرت الأشخاص في الصور الفوتوغرافية كأنها مثبتة في الهواء مع أنها أخذت وهي في حالة الحركة فما ذلك الا لأن جميع أجزائها صورت في فترة زمنية واحدة هي جزء من عشرين أو أربعين من الثانية فلا يوجد في هذه الحال تدرج في الحركة كما هو الحال في الفن » .

فقلت :

— « اني أفهمك تمام الفهم يا أستاذ : ولكن أرجو أن تسمح لي بأن أقرر أنك تناقض نفسك » .

— « وكيف ذلك ؟ »

— « ألم تصرح لي أكثر من مرة بأنه يجب على الفنان أن ينسخ الطبيعة بكل اخلاص ؟ »

— « لا ريب في ذلك . ولا أزال أتمسك به . »

— « حسن ! إذن إنه عند ما يفسر الحركة فيناقض بتفسيره الآلة الفوتوغرافية تمام المناقضة — والفوتوغرافيه دليل آلي دامغ لا يرقى إليه الشك — فانه بذلك يغير من الحقائق . »

— « كلا . ان الفنان هو الصادق ، والآلة الفوتوغرافية هي الكاذبة ؛ لأن الزمن لا يقف كما هو ثابت مقرر . وإذا نجح الفنان في اظهار تعبير حركة تستغرق عدة لحظات حتى تم فان عمله يكون بلا ريب أقل تكلفا من الطيف العلمي « الفوتوغرافية » حيث اقتضب فيه الوقت اقتضاباً مفاجئاً .

(له بقية) دكتور محمد بهجت

فرنسا الجريحة

[لمناسبة الحوادث الأخيرة فى القطرين الشقيقين سوريا ولبنان] .

للأستاذ ادوار حنا سعد

فرنسا الجريحـــة لا تجزعى   فإن شقاءك لم يبرحِ
وإن كان فيك ذَماء ضعيفٌ   فسوسى خرابَك أو أصلحى
عجيب لعمرىَ بطشُ الجريح   بييتِ الموالين والنُّصَّـح
فنبكى ونضحك من حمقه   ونرثى له ساحة المـــذبح !

جناحك فى الغرب ملقًى به   ونابك فى الشرق ... فى قلبه
فرت إليـه من الفـاتحين   فهل كان غوثك من ذنبه ؟
فيا للطريدة قـــد ضمها   كريمٌ تخفَّت إلى حربه
لئن كنتِ أخطأتِ فى بُغضنا   لقد أخطأ الشرق فى حبه

أهذى بواكيرُ عهد السلامْ   جيوش تساق وشعب يضامْ
فيا ســوأةً للعهودِ العِذابِ   ويا ضيلةَ للأمانى الضخامْ
وهل حُمِّلَ العالمُ المستثارُ   سنين اللظى والدما والظلام ..
... لمستهترين بحق الشعوبِ   ومؤتمرٍ غارق فى الكلام ؟

وأين التساوى وأين الإخاء ؟   رياءٌ ... تنصل منـــه الرياء
تراث الجـــدود فهل صنته   وقد خطه دمعهم والدماء
ولو تنطق اليــــوم أشلاؤهم   لثارت على مشبهى الأقوياء
هويتِ بمجـــدٍ ولوثته   ومنبعهُ من كروم السماء

ثرى الحرب

للأستاذ محمد برهام

أراه فأذكر الحظ السعيدا   وأطرق إذ أرى حظى بليدا
لقـــد فهم الحياة فجد حتى   أقام لنفسه ملكا وطيـــدا
إذا عبست له الأقدار (بيضا)   فقد ضحكت له الأقدار (سودا)
ثرىَّ الحرب إن الناس حرب   عليـك لجمك المال العديدا
وأوليك المـــديح ولا أبالى   إذا ما صرت فى مدحى فريدا
وجود ظالم لا خـــير فيه   فما أحراك أن تنسى الوجودا
أليس المرء فى دنيـــاه مالا   يقاس به هبوطاً أو صعودا
تحـــدث بالثراء ولو كذابا   تجدك غدوت إنساناً مجيدا
وقالوا جاهل قلنـا سيغدو   على الأيام أبلغنا قصيـــدا
وقالوا مجـــده مجد طريف   فقلت المجد لم يخلق تليدا
صفات سوف تنساها الليالى   وثروته تخـــلده خلودا
لعمرك كم نمجـــد أثرياء   فنطريهم ونلبسهم عقودا
وكانوا لا تسلنى كيف كانوا   وخلى المـال صيتهم بعيدا
إذا فتشت عن أسباب مجد   فلا تنسَ الدراهم والنقودا
لماذا لا أكون ثرىَّ حرب   فألبس خاتماً وأزين جيداً
وقل ما شئت فى ذمى فعندى   سواء أن تذم وأن تشيدا
أينبل شاعر قـــد وظفوه   فلاقى فى وظيفته الجحودا
بلا حول ، فإن طلب الترقى   أقاموا دونه (كَـدْرًا) حديدا
منيع ، تتبع النظرات فيـه   فتلقى كل أحرفه قيـــودا
نظل سنين نحسب — كى نعلّى   (جنيهاً) وا تفاهة ما أريدا
علاوات كدود البطن تردى   فسموها (الوحيدة) والوحيدا
إلـهى طال للعدل انتظارى   ولا أمـل لدى أرى الفقيدا
فمن ذا يشترى علمى وشعرى   ويبـدلنى بهم جهلا مفيدا
هنيئا يا ثرى الحرب مال   ضمنت بجمعه العيش الرغيدا
فعش من نور جهلك فى رخاء   ودع لى الفقر والخلق الحميدا

أشـــواق ...

للشاعر مصطفى عبد الرحمن

أيها الناعم فى ملك الكرى   بين أحلام الأمانى الباسمات
من على بالك يهفو يا ترى   عندما تذكر ما مر وفات
لا رأت عيناك يوماً ما أرى   وأقاسى من لهيب الذكريات
حينما يعرضها المـاضى لعينى
صوراً تجلو الذى أفلت منى
من ليال بهوانا راقصات

البريد الأدبي

تصدير فخم لكتاب فخم

أرسل إلينا الأستاذ نزار الحلى من كربلاء كتاباً يقول فيه :

« أهدى السيد محمد حسن آل ضياء الدين سادن الروضة العباسية بكربلاء هدية نفيسة إلى الأستاذ عباس محمود العقاد تتألف من مصحف أثرى ، وسجادة فاخرة ، وقطعة من الذهب المقصب تمثل ضريح الحسين عليه السلام ، وذلك بمناسبة تأليفه كتابه (أبو الشهداء) واعترافاً بإجادته فى هذا الموضوع . وتقدر هذه الهدية بألف جنيه علاوة على قيمتها الأثرية .

ولقد أرسل الأستاذ المهدى إليه رسالة رقيقة إلى السيد المهدى نرسل إليكم صورتها لتنشروها فى مجلتكم الغراء ، وهذا نصها بعد الديباجة :

« تحيات الإجلال إلى مقام السيد الكريم ، وقد تلقيت هديته الفاخرة فتلقيت كنزاً ثميناً بكل معنى من معانيها ، وكل إشارة من إشاراتها ، وهى كثيرة المعانى والإشارات

وحسبى منها أنها عنوان الرضوان من أمثالكم ذوى الفضل والعلم ، ورضوانهم مفخرة لكل من يحمل القلم فى خدمة الحق والمعرفة ، وأنها قداسة تقترن بوحى الله وتزدان باسمه جل وعلا وأسماء نبيه الكريم وصفوة آله الأبرار وأنها مع هذا وذاك آية رائعة من آيات الصنع المونق المعجب والفن المحكم الجميل ، ولست أوفيها الشكر عن بعض هذه المعانى فكيف أوفيها الشكر عليهن مجتمعات ؟

غاية رجائى أنى استحققتها من كرمكم بكتابى عن (أبى الشهداء) فعسى أن أوفيها شكرها بالمضى فى هذا النهج القويم والمثابرة على خدمة الفضيلة والإيمان . ولعلى أسعد بفرصة يشكركم فيها اللسان مع هذا الشكر القاصر من اليراع .

ولكم منى أسنى التحية والسلام والإجلال »

المخلص

عباس محمود العقاد

حمل الصبح إلى الكون نشيدى ... رائع اللحن شجى النغمات
كالمنى تخفق كالحلم السعيد ... كرضانا كابتسام الزهرات
بيـــد أنى لا أبالى بالوجود ... ذاع لحنى فيه أم ضاع ومات

إن يكن قلبك لا يسمع لحنى
فلمن يا فتنـــة الروح أغنى
للهوى لحن الليالى الخالدات

آه لو تسمعنى أشكو الجوى ... يا حبيبى . . . آه لو تسمعنى
وترى القلب ونيران الهــوى ... ولظاها بات يرعى بدنى
لترفقت وحطمت النوى ... وانطوى سُهدى وولى حَزَنى

أين أحلام شبابى ، أين منى
أمسيات من فتون وتمنى
وعيــون الدهر عنا غافلات

يا حبيبى أيقظ الماضى شجونى ... حينما طافت رؤاه فى خيالى
وتلفت بعيـــنى ليقينى ... فإذا الحـاضر كالليل حيالى
وإذا بى قد خلت منك يمينى ... وانطوى ما كان من صفو الليالى

طال بى شـوق لأيام التغنى
وليال هن بعضى غاب عنى
هاتها لى يا حبيب الروح هات

من مستشار أديب إلى مؤلف أديب

عزيزى الأستاذ الكبير كامل كيلانى بك

إنى — منذ تفضلت فأهديت إلىّ تحفتيك الأخيرتين — أتفيأ ظلال حديقة أبى العلاء ، أنعم بوارف هذا الظل وأمتع ناظرى بجمال تنسيقها ووشى أزهارها وأجتنى ثمارها وأتذوق عذب نميرها ، وأهنأ برسالة الهناء ، وما حوت من طريف اللغة ودقيق المعانى وما كشفت من نواحى الحياة الوضاءة حيناً والمظلمة أحياناً ، وأعجب من هذه القدرة التى حباك الله بها فيسرت العسير ، وذللت الصعب الممتنع ، وسقت لنا فلسفة أبى العلاء وأدب أبى العلاء وخيال أبى العلاء الشعرى الرائع فى أسلوب جزل حلو جذاب وثاب ينفذ إلى القلوب فيهز مشاعر النفس وجوانب الحس . وقد عقدت

الموازنة الطريفة بين حديقة أبى العلاء كما نسقها بنانك ورواها بيانك ، وبين غابة أبى العلاء بوحشيتها المحببة وروعتها الوطأة .

فلك منى الشكر على كريم هديتك ، والتهنئة على عظيم توفيقك .

ولا عجب فاضيك فى الأدب يحمل أكبر الدلالة على حاضر موفق ومستقبل أكثر توفيقاً بإذن الله . فالله يكافئك على ما قدمته للعربية من روائع أدب تضيف إلى كنوزها كنوزاً وتحمل رسالة السلف إلى الخلف فى يسر وجمال وإغراء .

والله يجزيك جزاء العاملين الصالحين .

المخلص

محمد العشماوى

المستشار الملكى

إدارة للأدب فى فرنسا

أنشئت فى العهد الأخير فى وزارة المعارف العمومية الفرنسية إدارة للأدب عهد إليها بالإشراف على كل ما يختص بالدفاع عن الأدب الفرنسى والكتاب الفرنسيين الماضين والحاضرين والذين يظهرون فى المستقبل وإبرازهما .

وستقدم هذه الإدارة المساعدات المالية لطبع المؤلفات العلمية التى يضعها كبار الكتاب العصريين ، أو تقديم أداة العمل كالمعجم . وستعنى أيضاً بإصدار الكتب الفرنسية إلى الخارج . وقد شرعت فى وضع مرشد فرنسا الأدبى ليستعين به الأجانب .

وستحقق هذه الإدارة أمنية جورج دوهاميل بإنشاء « صندوق وطنى للأدب » بحيث يمكن توزيع المساعدات اللازمة للعمل فتذهب عن كل من يمنحونها المشاغل المادية مدة عام أو عامين . وستكون هذه المساعدات شبيهة بجائزة روما للرسامين والموسيقيين والحفارين ، ويمكن أن تمنح للشبان من الشعراء والروائيين والفلاسفة والمؤرخين وغيرهم .

وستتولى إدارة الأدب صيانة عقيدة الكتاب ، وحماية منازل الكتاب المتوفين من الإهمال أو التدمير .

وستعنى بتنفيذ بعض المشروعات مثل متحف الأدب الذى يمثل منظراً واسع النطاق لنشاط الإنسان ، أو لحركة عهد من العهود ، أو تطور حركة من حركات الأدب ، فيمثل للجمهور مثلا أدب النهضة أو أدب بارناس أو الأدب الروائى أو أدب بلزاك أو فيكتور هوجو .

وبالإجمال ستكون مهمة هذه الإدارة اختيار ما أخرجه الأدب الفرنسى مهما يكن مصدره واتجاهه وصيانته من العبث .

هيكل باشا مع المؤرخين

قرأت ما كتب فى « الرسالة » حول اسم كتاب الدكتور هيكل باشا (الفاروق عمر) فأرسلت بهذه الكلمة استدراكاً على ذلك !

قال المؤرخ الصفدى فى (الوافى بالوفيات) : قد عرفت العلم والكنية واللقب ، فسردها يكون على الترتيب : يقدم اللقب على الكنية ، والكنية على العلم ، ثم بالنسبة إلى البلد ، ثم إلى الأصل ، ثم إلى المذهب فى الفروع ، ثم إلى المذهب فى الاعتقاد ، ثم إلى العلم والصناعة . والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والإمرة والمشيخة والحج والحرفة كلها تقدم على الجميع ، فيقال فى الخليفة : أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامرى البغدادى الهاشمى القرشى العباسى الشافعى الأشعرى . ويقال فى أشياخ العلم العلامة أو الحافظ أو المسند — فيمن عمر وأكثر الرواية — أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه ، ويورد الباقى إلى أن يختم الجميع بالأصولى ، والمنطقى أو النحوى . انتهى . هذا مصطلح المؤرخين . وهيكل باشا منهم .

دمشق **أحمد بسام القدسى**

تصحيح آية

جاء فى مقال الأستاذ السبكى أثناء نقده لكتاب التصوير الفنى فى القرآن أن الله سبحانه وتعالى قال فى وصف سيدنا يوسف إنه كان من عبادنا المخلصين . ومع أن الأستاذ الناقد أخذ على المؤلف إهمال تحرير الآيات فإنه وقع فى نفس المؤاخذة بأن زاد كلمة (كان) على كلام الله تعالى . فنرجو تصحيح ذلك .

عبد السلام النجار

الكتب

التعليم في رأي القابسي

للأستاذ محمد يوسف موسى

رسالة دكتوراه للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ٣٢٦ صفحة القطع الكبير .

ظن كثير من الناس أن نشر رسالة في التربية لعالم من علماء الإسلام لا يقتضي من المجهود ما يستحق به صاحبه درجة دكتور في الآداب ، حتى نشر الأستاذ الأهواني هذه الرسالة وقرأها هؤلاء الذين كان رأيهم هذا الرأي ، فتبين لهم أنهم كانوا على أنفسهم مسرفين

ومن الحق أن قارىء هذه الرسالة القيمة يتبين له بوضوح مقدار ما عانى صاحبها الفاضل وما بذل من جهد ، وما كان له من آراء خاصة ونقد قوي لما يستحق النقد من آراء القابسي وغيره من المستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين .

***

جعل الأستاذ رسالته من قسمين : التعليم في رأي القابسي وهو من علماء القرن الرابع ، ونص رسالة القابسي التي بين فيها أحوال المعلمين والمتعلمين .

بدأ أولا بعرض حياة القابسي وبيان منهجه في رسالته ، وأن هذا المنهج كان منهج رجال الحديث الذين يعتدون بالآثار ويكرهون الابتداع ، كما كان واقعياً فيما عرض من آراء في التعليم والتربية ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يكون مؤرخا أيضاً ؛ فيعنى فيما يبحث من مسائل — إذا اقتضى الأمر — بردّها إلى أصولها التاريخية وتتبع تطورها إلى أن تبلغ زمانه (٤٩) .

ولم يفت الأستاذ أن يلحظ أن القابسي وإن كان واقعياً في آرائه يعنى بتقرير الواقع ووصفه ، إلا أنه كان مثاليا فيما رأى من وجوب أن يكون تعليم الصبيان جميعاً إلزامياً (٥٠ ، ٨٣) ، وبهذا سبق بقرون عديدة ما رآه الأمم في هذه الأيام .

ثم عرض بعد هذا إلى الكلام عن الكتاتيب في الإسلام ، وإلى البواعث التي جعلت أصحاب الحديث هم المشرفين على التعليم ، وإلى الغرض من التعليم في رأي القابسي ومناقشته . وهنا نراه يقوم لذلك بعرض تاريخي عن التعليم في فارس والشام ومصر قبل الإسلام أخذ منه الفصل الرابع كله والفصل الخامس أيضاً .

ويطول بنا الحديث إذا أردنا تحليل الرسالة وبيان ما وعت من مسائل عديدة عولجت بمقدرة وشجاعة وعمق جدير بالإعجاب ، ولكنه يجب علينا مع هذا أن نشير إلى أن الأستاذ الفاضل كان موفقاً وقوياً في نقده للقابسي في منهجه وفي بعض آرائه التي قررها وفي نقده لبعض الذين كتبوا في التربية عند المسلمين من المستشرقين وغيرهم من المسلمين المعاصرين ، لقد كان موفقاً في ذلك كله إلى أبعد حدود التوفيق .

١ — نقد القابسي في منهجه الذي يقوم على تلمس الآثار وآراء السابقين ، بأن هذا لا يصلح في التربية لما يدعو إليه من جمود وحجر على الرأي ، وبخاصة والأمر أمر يتصل أوثق اتصال بشئون الدنيا (ص ٣٣) .

٢ — نقده أيضاً في أنه أهمل في الآراء التي أنهى إليها نفسية الطفل ورعاية مراحل نموه ، كما أهمل العلوم الطبيعية والرياضة البدنية فلم يجعلها من العلوم الواجب أن يؤخذ بها الناشئة ، على أن الأستاذ كان منصفاً حين لاحظ أن هذه الآراء كانت أثر البيئة الاجتماعية في عصر القابسي ، وأن العيب الأول كان عيب العصر كله في الشرق والغرب (ص ١٥٧) .

٣ — وكذلك نقد بعض المستشرقين ومن أخذ إخذهم ؛ إذ لم يفرقوا فيما ذهبوا إليه من أغراض التربية عند المسلمين وآرائهم فيها بين المؤلفين الواقعيين كالقابسي والمثاليين كابن عبد البر والغزالي وإخوان الصفاء ، ومن ثم كان خطأ أولئك الكاتبين — ومنهم الدكتور خليل طوطح في كتاب التربية عند العرب — في اعتبارهم آراء هؤلاء المؤلفين آراء المسلمين جميعاً . ص ٢٠١ وما بعدها .

٣ — والأستاذ « كارادي فو » المستشرق الفرنسي المعروف ناله شواظ من نقد الأستاذ الأهواني بحق ؛ فقد زعم في كتابه « مذهب الإسلام » أن الشرق الإسلامي ليس فيه الذوق

الفطرى للتعليم ، وأن الإسلام لم يهتم بأمر الطفل ... فأكد لنا الأستاذ الأهوانى أن هذا المستشرق لو عرف رسالة القابسى لغير هذا الرأى الخاطىء ، فكيف بها وبغيرها من المؤلفات التى عنيت بالتربية والتعليم ! (ص ٢٢٥ — ٢٢٦) .. هذه الرسالة التى — كما جاء فى آخر القسم الأول من البحث — وضع بها القابسى مؤلفها أسس التربية بحيث تلائم المجتمع وحاجة العصر ، والتى فكر فيها فى التعليم الإلزامى وتعليم البنات .

وبعد فقد كنا نود الوقوف عند هذا ، ولكن نرجو أن يسمح لنا الدكتور الفاضل بأن نشير إلى أمرين :

(ا) استعمل فى مواضع «أهل السنة» للدلالة على «أصحاب الحديث» (ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣) . والمعروف أن أهل السنة فى المقام الذى جاء ذكرهم فيه ، هم الأشاعرة والماتريدية الذين يقابلون المعتزلة ، لا أصحاب الحديث ، كما يتبين من ابن خلدون وطاش كبرى زاده وغيرهما من الذين عرضوا للكلام والمتكلمين

(ب) ذكر الأستاذ الفاضل (ص ٧٧) رأى الغزالى عن المعتزلة من أنهم رأوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتها فهو كافر ... ومع أن هذا ، كما ذكر الأستاذ ، ورد فى فيصل التفرقة للغزالى ، إلا أنه كان الواجب فى رأيى أن يأتى الأستاذ بنص فى ذلك من كتب المعتزلة أنفسهم ، لا من خصم لهم ، ولكننا نعرف قول الخصوم بعضهم على بعض . وبخاصة والمعروف المشهور أن هذا التضييق على الناس فى وجوب معرفة الله من أدلة خاصة لها مقدمات خاصة هو رأى القاضى أبى بكر الباقلانى الذى ذهب إلى أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول ؛ حتى جاء إمام الحرمين الجُوَيْنى وأعرض عن هذا الرأى ، وقرر أن بطلان الدليل لا يؤدى إلا ببطلان المدلول بحال .

هذا ، وليس هذا المأخذ أو ذاك مما يغض من قيمة هذه الرسالة القيمة التى عالج فيها صاحبها العالم الجليل مسائل التربية والتعليم — على تنوعها وتعددها — فى القديم والحديث بمقدرة يستحق التهنئة عليها وأسلوب واضح مبين ومنهاج مستقيم لا عوج فيه . وهذا كله وأكثر منه ننتظره من الدكتور الأهوانى الذى تخصص فى هذا الموضوع زمنا طويلا .

محمد يوسف موسى

مرايا النـــاس (*)
للأستاذ حبيب الزحلاوى

السيدة وداد سكاكينى ، أديبة سورية ، وكاتبة من الطراز الأول بين جميع بنات جنسها ، وأقدر من عرفت من كاتبات العربية على الجمع بين حسن الديباجة ، وطلاوة الأسلوب ، وسلامة البيان ، واختيار الألفاظ ، وبراعة السبك ودقة التصوير خصوصاً فى الأمور الواقعية .

ما قرأت لهذه السيدة بحثاً من البحوث إلا أحسست بالجهد الذى أنفقته والعناية التى بذلتها فى صقل جملها لتكون على أجمل وأكمل ما يتراءى لها ، وعلى أحسن ما يمكن أن يكون وقعها فى نفس قارئها ، وهذه صفات قلما وجدنا لها نظيراً بعد المرحومة الآنسة « مى » بين كاتبات العربية فى هذا العصر . بل هى ميزة تمتاز بها على قريناتها خصوصاً فى معرفة مداخل الموضوعات والخلوص منها .

جمعت هذه السيدة الفاضلة ما كتبت فى مستهل حياتها من قصص فى كتاب أسمته « مرايا الناس » ؛ وأول ما يبدو لخاطر قارىء هذه المجموعة أن مؤلفتها كانت حبيسة دار الزوجية لا تسمع فيها — إن سمعت — سوى أحاديث الكتاب والأدب ، والكُتّاب والأدباء ، ولا تخرج من دارها إلا لتذهب إلى المدرسة تعلم بعد أن تعلمت وأخذت منها كل ما يمكن أن تعطيه لفتاة مجتهدة مثلها ، وإذا جنحت عن المدرسة أو البيت — وقل ما نلاحظه فى هذه المجموعة انها جنحت عنها — فتكون لزيارة صديقة قريبة أو زميلة . وقد ألمس الحقيقة إذا قلت إن حوادثها الخاصة وصورها الذاتية المرسومة فى كتاب « مرايا الناس » مستمدة من محيط ضيق كل الضيق لم يتخط بيت طفولتها ، ودور المدارس ، ومنزل الزوجية . والمؤلفة برغم هذه العقبات وأسميها عقبات كأداء لسيدة متوثبة الذهن ، متحفزة لاقتحام ميدان الحياة واجتلاء أسرارها ، ألفتْ هذه المجموعة من القصص فجاءت ضيقة الحدود ، متعرجة الخطوط ، ناصلة الألوان ، غير واضحة المعالم ، وقد بدا شأنها فيها كشأن مقتحم الصحراء وهو غير مزود حتى بالبوصلة . وأزعم أن مجموعة قصصها الجديدة ، وقد كتبت ما كتبت منها تحت سماء مصر ، هذا القطر السعيد ،

(*) يقع فى ١٥٣ صفحة من القطع الوسط ويطلب من مكتبة مصر

الحياشة صدور أدبائه بالطموح إلى الخروج عن الطوق ، وإثبات الشخصية ، والسادرة أقلام نقاده فى جنان من المديح والثناء المأجور ، أقول إنها ستعنى كثيراً بعرض موضوعها القصصى ومعالجته وتحليل شخصيات القصة ، وتسلسل الحوادث ، وبالعقدة والخاتمة ، وبالمحافظة على عنصرى الصدق والتشويق ، وإلى خصائص مقررة لا محيد ألبتة عن التزامها فى بناء القصة . أما مجموعتها هذه فهى غنية بالصور الوصفية ، وقد تكون قصة « شقيقة نفسى » من أغناها ، لأن بناءها قائم على رسم تطور حياة فتاة ، هى حياة المؤلفة الخاصة قالت :

« وقد مرت الأيام على « وئام » فألقت بها فى لجة الحياة ، وكأنها كانت تقول لها : حاولى النجاة ... فلاحت لها الدنيا بوجهيها ، ورأت فيها الحمامة الوديعة والحية الرقطاء . ثم فتحت كتاب الناس فراعها أن لم تجد فيه صفحة مما تعلمته فى المدرسة ، وندمت على شباب نسجته بالمثل العليا ، فأخذت تتمرس بآفات المجتمع غير منطوية على يأس ، ولا متقنعة بمصانعة »

ثم تقول « وأسدل الستار على فصل من رواية عمرها ، فاذا هى فى فصل جديد ، وإذا بها كـكل أنثى تنضو عنها فتوة جاهدة ، وتروز تبعات جديدة ، فتشيع قافلة من السنين تجاوز العشرين ، وينبثق حجاب الزمان عن سر الغد القريب ، فاذا بها تحلى فى طالعة دنياها التى خلقت من أجلها كل أنثى » .

أحيى السيدة وداد تحية الولاء والصداقة ؛ وأرجو أن تحملنى مجموعة قصصها التالية على الوقوف عند كل قصة وقفة النهم من موائد مترعة الكؤوس بخمرة الحياة .

شخصيات ومذاهب فلسفية*

من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

من طبيعة الأدب شعره ونثره أنه سهل الدخول إلى النفس فى يسر ولين لاعنف ولامشقة . وأن النفس تقبل عليه بدافع منها ، راضية عنه مقبلة عليه مستأنسة إليه .

أما الفلسفة فلا يقبل عليها من الناس إلا من رزق الصبر عليها والأنس بها . وقلما كانت الفلسفة أنيسة إلى النفوس لأنها كالسباع من الحيوان لايقدم عليها إلا من رزق القدرة على ترويضها وتأليفها .

(*) للدكتور عثمان أمين مدرس الفلسفة بكلية الآداب — مطبعة الحلبى .

والفلاسفة والمشتغلون بالفلسفة مسئولون عن هذا النفور الذى يعانيه الجمهور من القراء . ولا أدرى ماذا كانت حجتهم فى الأبهام وعذرهم فى التعمية . وهل فعلوا ذلك عن قصد حتى تبقى للفلسفة رهبة الغموض وهيبة الخفاء ؛ وحتى يكون لهم وحدهم مفتاح الأسرار والاستئثار بالأستار ، أم جاءهم ذلك الغموض من طبيعة الفلسفة نفسها لأنها تبحث وراء « المجهول » « وما بعد الطبيعة » وما إليهما مما أبدىء الكلام فيه وأعيد ولا يزال المجهول مجهولا ؟

والحق أن كثيراً من موضوعات الفلسفة — وخاصة عند المسلمين لا يفيد القارىء أكثر مما يتعب ذهنه ويحير عقله — كالكلام فى النفس ووحدتها وبقائها ؛ وكالكلام فى الكون وهل هو حادث أم قديم ، وكالكلام فى معرفة الله للجزئيات أو الكليات ، وكالكلام فى البعث وهل هو لأجسام الدنيا بأعيانها أم بأمثالها .

وقد ظل الفلاسفة يبحثون فى هذا وأشباهه فما أراحونا ولا أراحوا أنفسهم ، ولا أزاحوا الستار عما تتحرق نفوسنا إلى معرفته وتتطلع إلى كشفه . حتى لقد مات الرازى وهو لا يدرى إلى أين ... وعبر عن ذلك بقوله فى بيتين يعبران عن سؤال كل نفس من عهد آدم إلى أن يشاء الله ، وهما :

لعمرى ما أدرى وقد آذن البلى بعاجل ترحال إلى أين ترحالى
وأين محل الروح بعد خروجها من الهيكل المنحل والجسد البالى

ولقد أراح — والله — خطيب أياد وحكيمها « ابن ساعدة » نفسه حينما قال قبل الإسلام :

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الأصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر ...

ولقد ألهم الله الجمعية الفلسفية المصرية صوابا فى القول حين قالت فى تصدير أول كتاب من كتبها « وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلا أخرى ، فيعنوا بالشئون الإنسانية ، وبالأمور التى يتجه إليها التفكير فى كل زمان ومكان ، ويعالجوا بحوثهم فى أسلوب سائغ جذاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » .

أما العناية بالشئون الإنسانية فنجد أن الدكتور على عبدالوحد وافى قد هدف إليها فى رسالته الجليلة « الأسرة والمجتمع » التى تعد بحق تحفة فى المكتبة العربية . ونجد أن أساتذة آخرين سيكتبون فى سلسلة هذه الجمعية عن الحياة الأخلاقية ، والتشريع

والإصلاح الاجتماعى . وأمثال هذه الموضوعات التى تتناول الواقع والحياة ، ولا تطير وراء الغيبيات والمجهولات ...

ولكن الدكتور عثمان أمين — وهو شريك الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابة تصدير هذه السلسلة — ترك العناية بالشئون الإنسانية من أخلاق وسياسة واجتماع وراح إلى الفلسفة يلتمس عندها سدَّ النقص فى القوة الإصلاحية والروحية . لأنه يرى أن (كل إصلاح تم فى الماضى أو سيتم فى المستقبل إنما هو أثر من آثار الفلاسفة وأحرار المفكرين) .

وما كان الأنبياء يا صديقى فلاسفة ولا أحرار تفكير ولكنك لا تنكر الإصلاح الذى تم على أيديهم :

على أن اكتفاءك بالكلام فى الشخصيات الفلسفية وتركك التأليف فى الشئون الإنسانية — كما صنع الدكتور على عبد الواحد — يُعدُّ ركونا إلى أهون الحلين وأخف العبئين ...

إلا أننى لا أكتمك أننى وجدت فى كتابك لوناً من المتعة واللذة عرفتُه من قبل فى كتابك عن « محمد عبده » . ووجدت فى أسلوبك الواضح السائغ أخذا بما عاهدت أنت ورئيس الجمعية فى تصديركما لأول كتاب .

وما أنا بقائل هنا لك جديداً ؛ فقد كنت أقرؤك فى مجلة « المقتطف » من سنوات فأجد فيك من الوضوح ما صارحتك به من حين إلى حين . وهأنذا اليوم أقرؤك فأجدك سائغ الأسلوب فى سقراط ، وفى الثلاثة الفلاسفة المسلمين الذين شئت أن تكتب عنهم ، وفى ديكارت وهيوم من الغربيين .

ولا أدرى يا أخى السر فى اختيارك هؤلاء الثلاثة من المسلمين بأعيانهم مع كثرة ما كتب عنهم ونشرُ فيهم . فهلاَّ كتبت عن ابن زهر والرازى وابن بطلان أو غيرهم مما لا يعرف الناس عنهم إلا قليلا . ولم تختار طريقاً معبَّداً وأنا ما عرفتك ألا مجتاز الصخور والوعور ؟؟

وهل بين الذين كتبت عنهم غرض يؤلف بينهم ، أو غرض اتفق لك فى الكتابة عنهم ؛ أم هى أشتات من الشخصيات لا يؤلف بينها غرض ولا يجمع بينها إلا كلمة الفلسفة ؟ ؟

ولا يزال (ميزانك) يا أخى فى تقديم الكتاب وحفظ النِّسب بين فصوله فيه كثير من السخاء فى موضع ، والشح فى موضع . فإن الفصل الذى كتبته عن آثار الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة المسيحية واليهودية لا يشفى غليلا . فقد أوجزتَ فيه إلى حد لا تغفره لك عربيتك وإسلامك ، ولا يغفره لك الإنصاف العلمى التاريخى ، على الرغم من إعلانك أنك لا تنتحل الأسباب للاشادة بفضل المسلمين على غير حق . فقد كتبته فى صفحتين ونصف صفحة على حين خصصتَ « ديكارت » بأربعين صفحة من الكتاب .

وما كنتَ يا أخى منصفاً للعرب حين قلتَ فى هذا الفصل « ولعل أسبينوزا عرف شيئاً من نظريات العرب عن طريق موسى ابن ميمون » . وإيراد الخبر على هذا الأسلوب يورده موارد الشك على حين أن Will Durant يورده مورد اليقين فى كتابه : "The Story of Philosophy" (١)

ولقد ذكرت يا أخى أن « هيوم » نشر كتابه « رسالة فى الطبيعة البشرية» سنة ١٧٤٠ . وليس الحق كله معك فى هذا ... فإن « الطبيعة البشرية » ظهرت فى يناير سنة ١٧٣٩ .فى مجلدين ؛ أما الذى نشر سنة ١٧٤٠ فهو المجلد الثالث وموضوعه مبادىء الأخلاق .

وذكرت أن « هيوم » بعد رحلته فى فرنسا عاد إلى أدنبره فقضى فيها آخر سنى حياته . وهنا طفرة فى التاريخ لا أظنها خفيت على علمك . فقد عاد من فرنسا إلى أدنبره — كما تقول — ولكنه تركها إلى لندن موظفاً كبيراً فى وزارة الخارجية فقضى فيها سنتين ثم استقر آخر الأمر فى أدنبره سنة ١٧٦٩ (٢)

أما السياسة عند ابن سينا وكتابه فيها فلم تتعرض لها ولا له ! ! وأنا أعرفك يا أخى بعيداً عن السياسة المصرية بطبيعة وظيفتك وطبيعة نفسك التى ترسل الابتسامة المرة لما تقع عليه من أمورنا ... ولكن سياسة ابن سينا يا أخى تستحق الأعجاب ولا تستحق مرير الابتسامات . وقد كتب عنها الأب بولس مسعد فصلا لطيفاً فى كتابه الصغير عن « ابن سينا الفيلسوف » (٣)

وبالرغم مما ذكرته لك فأن كتابك قد ترك فى نفسى الأثر الطيب الذى تتركه عندى آثارك . وقد نزل من مكتبتى المنزلة التى أنت أعرف الناس بها . فأهنئك على كتابك وأهنئك على جهدك فى الجمعية الفلسفية التى وقعت أعمالها من نفوسنا مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

(١) ص ١٦٢ طبعة Simon and Schustet نيويورك .
(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة David Hnme
(٣) مطبعة الاتحاد على السور بيروت سنة ١٩٣٧